محاضرات في التاريخ الاندلسي

(التاريخ السياسي)

كلية الاداب/جامعة البصرة

المرحلة الرابعة

الفصل الاول

<u>اولاً: الاوضاع العامة في اسبانيا قبيل الفتح العربي الاسلامي</u>

كانت شبه الجزيرة الايبيرية قبل الفتح الاسلامي خاضعة لسلطان القوط الغربيين وهم من الشعوب الجرمانية المتبربرة التي انقضت على الامبراطورية الرومانية حينما تطرق اليه الضعف والانحلال

اوائل القرن الخامس الميلادي في السنة (٤٠٩م) اقتحمت هذه القبال ايبيريا وتقاسمت مقاطعاتها التي كانت خاضعة لروما على ان الحكم لم يصف للقوط في شبه الجزيرة فقد كانت الحروب والمنازعات

مستمرة كما ان اجزاء من جنوب شبه الجزيرة كانت تحت حكم البيزنطيين وقد شكل القوط نخبة ارستقراطية حاكمة ضعيفة الصلة بأهل البلاد فالوظائف الكبرى قاصرة عليهم والتزاوج بينهم وبين رعاياهم محظور وفضلاً عن ذلك فقد كان هناك اختلاف مذهبي فاهل البلاد يعتنقون الكاثوليكية التي تدين بطبيعتين للسيد المسيح في حين كان ملوكهم على مذهب اريوس الذي يقول بالطبيعة الواحدة للسيد المسيح .كما وجدت في البلاد اقلية يهودية كانت تعاني اشد ضروب الاضطهاد .هكذا كانت الانقسامات الدينية والاجتماعية تمزق وحدة البلاد حتى اواخرالقرن السادس .ففي عهد الملك يوفيخلد

تم توحيد البلاد سياسياً وفي عهد ابنه ريكاردو توحدت البلاد دينياً اذ اعتنق الكاثوليكية واصبحت هي الديانة الرسمية في البلاد وقد ساعد هذا على التقريب بين ملوك القوط ورعاياهم الى حد ما ولكن الفروق الطبقية والاجتماعية ظلت كما هي حيث كان المجتمع القوطي مقسماً الى طبقات :

١- طبقة النبلاء ومنها الطبقة الحكمة .
٢- طبقة رجال الدين التي تشارك النبلاء في حكم البلاد والاستمتاع بخيراتها .
٣- طبقة التجار والزراع الذين يتحملون الضرائب المختلفة
٤- طبقة عبيد الارض الذين يتبعون مالكيها وينتقلون مع ملكيتها من سيد لاخر وكذلك طبقة العبيد التي تكونت من اسرى الحرب ويتصرف بهم بيعاًوشراءً

ولم يتمتعوا هم ولاسابقيهم بأي حقوق .وعلى هذا النحو ايضاً كانت جباية الضرائب اذ ان الطبقية

الارستقراطية كانت معفاة منها فبقيت تثقل كاهل الرعية وتعاقب ملوك القوط والبلاد في حالة شبه دائمة من الثورات والحروب الاهلية والمؤمرات التي يقوم بها النبلاء حتى انتخب وامبا ملكاً عام (٦٧٢م-٦٨٠م)فصلحت احوال البلاد بعض الشيئ بعد ان قضى على معظم مانشب من ثورات ولكنه مالبث ان خلع عن العرش وبعد فترة مليئة بالاضطرابات ولي العرش الملك غيطيشة عام

(٧٠٢-٧١٠م) واراد ان يقر الوئام بين الاسر المتناحرة والطامعة بالعرش الاانه لم يستطع ذلك

فلم تكد تدركه وفاته سنة (٧١٠م) حتى وثب الملك لذريق خصمه اللدود لاغتصاب العرش واستطاع

الاستيلاء عليه ولكنه لم يهنأ بهذا الملك فقد قدر له ان يكون اخر من حكم اسبانيا من القوط .

ثانياً: التعريف ببلاد الاندلس

اصل مصطلح الاندلس مأخوذ من قبائل الوندال (vandals) التي تعود الى اصل جرماني.احتلت شبه الجزيرة الايبيرية حوالي القرن الثالث والرابع وحتى القرن الخامس الميلادي ،وسميت بأسمها :فاندلسيا (vandalusia) اي :بلادالوندال . ثم نطقت بالعربية ،الاندلس .اما مدلول هذا المصطلح فقد اطلقه المؤرخون والجغرافيون الاندلسيون احياناًعلى كل شبه الجزيرة الايبيرية (اسبانيا والبرتغال اليوم)والتي يسمونه الجزيرة الاندلسية .ثم استعمل للدلالة على كل المناطق التي سكنها المسلمون وحكموها من شبه الجزيرة الايبيرية .

حدود الاندلس ايام الخلافة الاندلسية – مثلاً- تشمل كل البرتغال تقريباً واكثر اسبانيا الحالية كانت الاندلس تمتد جنوب الخط الافتراضي الذي يصل بين نهر دويرة (Duero)في الغرب حتى برشلونة في الشرق ،مع ارتفاع الى الاعلى في الوسط .يفصل هذا الخط بين اسبانيا النصرانية في الشمال وبين الاندلس (اسبانيا الاسلامية) في جنوبه .

حين يذكر هنا اصطلاح الاندلس يقصد به ايضاً - زيادة على ماسبق- المنطقة الاسلامية التي شملها الاسلام ،سلطاناً ومكاناً ،من شبه الجزيرة الايبيرية وعلى الاغلب في شمولها ايام الخلافة الاندلسية .او شاملة لكل شبه الجزيرة كما تبين آنفاً . تطلق اليوم كما اندلثيا بالاسبانية على المنطقة الجنوبية من اسبانيا هو اصطلاح اداري لايمثل المعنى التاريخي المبين لمصطلح الاندلس .

بعض اسماء الامكنة والمدن في شبه الجزيرة الايبيرية ذات اصل اندلسي ،منقول الى الاسبانية او انه اسباني نقل الى العربية .فعدد من الاسماء يتسم بطابعه الاندلسي . وكل اسم في الاسبانية -حالياً – مسبوق ب(الـ) التعريف دليل على اندلسيته او تأثره . كانت ولازالت تقوم في اسبانيا مدن وقواعد اندلسية ،بعضها كبرى ،تحتفظ بأثار العمران الاندلسي ، مثل قرطبة واشبيلية وغرناطة ومالقة وغيرها .

ثانياً: الثغور الاندلسية
وجدت في الاندلس ثلاثة ثغور اندلسية ،تقع على الحدود النصرانية وهي :
١-الثغر الاندلسي الاعلى (او الثغر الاقصى): وعاصمته سرقسطة ،ويواجه مملكة نبار او(نافار)
٢- الثغر الاوسط : وعاصمته مدينة سالم ،ثم طليطلة ،ويواجه مملكتي قشتالة وليون
٣-الثغر الادنى :ويقع بين نهري دويرة وتاجه ،كانت عاصمته اولاً طليطلة ،ثم حلت غيرها لعلها قورية .
كانت في شمال اسبانيا ،حوالي القرن الرابع الهجري ،ثلاثة دويلات نصرانية :

(٢)

١-ليون : في الشمال الغربي ،عاصمتها مدينة ليون تضم منطقتي جليقية واشتوريش

٢- قشتالة : وعاصمتها مدينة برغش ، تقع بين ليون ونافار

٣-نبارة او (نافار) :وعاصمتها مدينة بنبلونة ،في الشمال الشرقي حيث تسكن قبائل البشكنس

يوجد في شبه الجزيرة الايبيرية الكثير من المناطق والانهار ،كما ان فيها المرتفعات والجبال الصخرية العلية .وقدجمعت الاندلس خواص كثيرة ،اوردها عددمن الجغرافيين الاندلسيين .

<u>ثالثاً: العهود التي مرت بها الاندلس</u>

استقر حكم الاسلام في الجزيرة الايبيرية ثمانية قرون ،منذ فتحها المسلمون - بقيادة طارق بن زياد وموسى بن نصير وآخرين – سنة ٩٢هـ (٧١١م) حتى سقوط غرناطة سنة ٨٩٧هـ(١٤٩٢م).مرت الاندلس في هذه القرون بعدة عهود تقلبت خلالها بين الضعف والقوة وبين النصر والهزيمة .ويمكن اجمال هذه العهود ،التي كان لكل منها طابع مميز على النحوالتالي :

اولاً:عهد الفتح الذي استمر حوالي اربع سنوات : ٩٢هـ-٩٥هـ (٧١١م-٧١٤م).

ثانياً :عهد الولاة :٩٥هـ - ١٣٨هـ (٧١٤- ٧٥٥م) ويعتبر بعض المؤرخين مدة الفتح داخلة في هذا العهد، الذي ينتهي بمجيئ عبد الرحمن الداخل الى الاندلس سنة ١٣٨هـ (٧٥٥م) .وقد حكم الاندلس

في هذا العهد –الذي استمر حوالي ٤٢ سنة – عشرون والياً تقريباً،كانوا تابعين للخلافة في دمشق مباشرة او بواسطة ولاية الشمال الافريقة (افريقية والمغرب)

ثالثاً: عهد الامارة : ١٣٨هـ -٣١٦هـ (٧٥٥م-٩٢٩م) ويبدا منذ مجيئ الداخل الى الاندلس حتـــى

اعلان الخلافة من قبل عبد الرحمن الناصر (الثالث) سنة ٣١٦هـ (٩٢٩هـ) ،وقد اسس الداخل امارة

مستقلة عن الخلافة العباسية ،استمرت مائة وثمان وسبعين .

رابعاً:عهد الخلافة :٣١٦ -٤٠٠هـ(٢٩٢-١٠٠٩م)ويبدأ منذ اعلان الخلافة حتى وفاة الحكم المستنصرسنة ٣٩٩هـ- (٩٧٦م) او حتى قيام الدولة العامرية في نهاية القرن الرابع الهجري بداية القرن الحادي عشر الميلادي وتحديداً عام(٣٩٩هـ -) فكان عمر الخلافة حوالي القرن .

خامساً: عهد الطوائف :٤٢٢-٤٨٤هـ (١٠٣١-١٠٩١م) وعهد دول ملوك الطوائف ،الذي سبقته اعوام من الفوضى . وقد استمر هذا العهد حوالي ثلاثة ارباع القرن ، حتى دخول الاندلس سلطان المرابطين .

(٣)

سادساً : عهد المرابطين :واموحدين ٤٨٤-٦٢٠هـ (١٠٩١-١٢٢٣م)حيث دخلت الاندلس اولاًفي دولة المرابطين التى تنتهي حولي ٥٤٠هـ (١١٤٥م) اي اكثر من نصف قرن .وبعد مدة تنضوي الاندلس تحت حكم الموحدين (قرابة القرن) الذي ينتهي في حوالي سنة ٦٢٠هـ (١٢٢٣م) ويمكن اعتبارهما عهدين مستقلين

سابعاً: مملكة غرناطة : ٦٣٥-٨٩٧هـ (١٢٣٨-١٤٩٢م)، حيث تقوم دولة بني الاحمر وتستمر قرنين ونصف ، حتى نهاية القرن التاسع الهجري (الخامس عشر ال ميلادي) ويمثل سقوطها نهاية الحكم الاسلامي للاندلس وذهاب سلطان المسلمين السياسي منها . وتبقى ملايين عديدة من المسلمين عشرات السنوات يتحملون الكثير من الاضطهاد وعمليات الافناء التى اتت عليهم قتلاً وتشريداً واذابة وكادت تأتي على كل ماخلفة المسلمون – بأجناسهم – من انتاج انساني شمل مختلف الميادين .

الفصل الثاني

(فتح الاندلس)

يمكن القول ان فكرة فتح الجزيرة الايبيرية هي فكرة اسلامية تماماً تمتد الى ايام الخليفة عثمان بن

عفان حينما كان القائد عقبة بن نافع يفكر بأجتيار المضيق كما انه سبق للمسلمين ان قاموا بنشاط على سواحل اسبانيا الشرقية مثل جزيرة ميورقة ومنورقة ويابسة وكان وراء هذا الفتح دوافع يقع **في مقدمتها :-**

١-رغبة المسلمين في الجهاد ونشر الاسلام .

٢- نظراً لطبيعة المنطقة الجغرافية لم يكن امام طارق وجنده سوى التوجه بانظارهم الى شبه الجزيرة الايبيرية . لاسيما ان مناطق الجنوب كانت صحراوية لاتشجع على الاتجاه اليها او التوغل فيها

٣- اتصال البربر الدائم مع السواحل الاسبانية لقربها من بلاد المغرب ومعرفتهم التامة بمدى خصب المنطقة وغناها وخطورة مشاكلها الاجتماعية والسياسية .

٤- ضعف دولة القوط الغربيين بصورة عامة .

هذه مجمل الدوافع التي قادت العرب الى فتح الاندلس .اما مايروجها المستشرقين من ان الدوافع التي قادت الى الفتح كانت ةمادية بالرجة الاساس بهدف الحصول على الغنائم او التوسع فلا اساس له من الصحة كما ان هناك من يقول ان جوليان حاكم سبتة سعى لمساعدة العرب بالدخول الى

الاندلس بدافع شخصي وهو الانتقام من لذريق الذي اعتدى على شرف ابنته فكان هذا من الاسباب

التي ادت الى الفتح العربي .هذا السبب لايصمد كثيراً امام النقد الموضوعي اذ اننا لانجد اساساً لهذه القصة في المصادر المعاصرة للاحداث .وان مادفع جوليان لمساعدة العرب هو انه وجد ان الامور

تسير لصالح هؤلاء الفاتحين والمستقبل يشير ببسط نفوذهم على المنطقة هذا فضلاً عن انقطـــــاع

علاقته مع اسبانيا مع اسبانيا بعد موت الملك غيطشة الذي كانت تربيطه علاقات صداقة وتعـــاون قوامها ارسال الؤن من اسبانيا الى (سبته) وقد انقطعت هذه العلاقات بموت الملك واستيلاء لـذريق على العرش فكان هذا من الامور التي أثارت استياء جوليان . وهناك من المؤرخين من يعطـــــي اهمية كبيرة لمساعدة اولاد غيطشة لطارق في عملية الفتح ويجعلها من الاسباب المهمة التـــــي ساعدت على نجاح عملية الفتح بمساعدة قوى من داخل اسبانيا ،صحيح ان ابناء الملك السابق كان لهم دور في هذه الاحداث الا اننا لايمكن ان نعول على ذلك بصورة اساسية وهناك من المؤرخيـن من يقول ان هذه المباحثات بين اولاد غيطشة وطارق تمت قبيل او قبل بدء المعركة الفاصلة بيـن الطرفين اي بعد ان صبح طارق وجنوده متواجدين في اسبانيا فعلاً اذ لم يتوقع اولد غيطشـــة ان العرب جاءوا فاتحين بل بل اعتقدوا ان هؤلاء جاءوا بحثاً عن الغنائم وانهم سيغادرون البلاد بعـد حصولهم عليها في حين يستردون هم العرش من لذريق ذلك بتخليهم عنه في ساحة المعركـــة اذن فمساعدة اولاد عيطشة للعرب كانت ضمن هذا الاطار فقط

خطة الفتح وحوادثه :-

بدأخطة الفتح بأرسال طارق حملة استكشافية الى المنطقة عام (٩١هـ/٧١٠م)بقيادة ابو زرعـــــة طريف بن مالك المعافري وقد تكللت جهود الحملة بنجاح كبير قام بعدها بجملات موفقة على اسبانيا كان الجيش الذي دخل مع طارق بن زياد (١٢الف)مقاتل معظمهم من البربر وقد فضل طـــــارق احاطة عملية دخوله بقدر كبير من السرية فعبر جيشه على متن سفن تجارية قدمها له يوليان حكـــم سبته واستطاعت جيوشه النزول فب مكان وعر يعرف بـ (صخرة كالبي)التي سميت فيما بعد بـــــ (جبل طارق) عام ٩٢هـ/٧١١م وبعد شهرين من دخول الجيش الاسلامي وقعت المعركة الفاصلـــة بينه وبين الجيش الاسباني اذ تقابل الجيشان في كورة شذونة جنوب اسبانيا ودار بينهم القتال (٨)ايام كان نتيجتها انتصار الجيش العربي ومقتل لذريق او هروبة من ساحة المعركة وقد سميت هـــــذه المعركة بعدة اسماء مثل (معركة البحيرة ،وادي بكة ،وادي البرباط ،شريش ،السواني ،السواقـــــي ،كورة شذونة)وان سبب تعدد هذه الاسماء هو ان المؤرخين لم يتمكنوا من تحديد مكان هـــــــذه المعركة بالضبط لكنها على اية حال ، وقعت في كورة شذونة بعد ذلك اتجه طارق الى الشمـــــال لاكمال عملية الفتح والقضاء على فلول القوط المنهزمة ففتح عدة مدن وارسل قائده مغيث الرومـــي لفتح قرطبة في اتجه هو لفتح طليطلة عاصمة القوط لمنع اي محاولة من قبلهم لتوحيد صفوفهـــم.

وسار طارق فعبر نهر الوادي الكبير وتقدم نحو الشمال وعندما وصل الى طليطلة وجدها خالية الا من اليهود حيث انسحب حيث انسحب حاكمها الى مدينة اخرى في حين استطاع من الاستيلاء عليها

حملة موسى بن نصير

كانت انتصارات طارق بن زياد مشجعة لموسى بن نصير للعبور للاندلس وكان قبل ذلك قد كتب لطارق يلومه على مبادرته بالهجوم دون تلقيه الاوامر بذلك وسبب هذا الموقف انه لم يكن على تام بتفاصيل الفتح ،على اية حال .وصل موسى الى الاندلس عام ٩٣هـ-٧١٢م مع جيش عربي قوامه (١٨٠٠٠)جندي من مختلف العشائر العربية في الجزيرة الخضراء وكان لكل عشيرة راية وبنى موسى مسجد هناك عرف بمسجد الرايات .واتجه موسى لفتح (مدينة اشبيلية) وبقية المناطق الغربية من اسبانيا وقد ساعده رجال حاكم مدينة سبتة جوليان الذين عرفوا الجيش بالطريق والمناطق غير المفتوحة . وقد قام كل من موسى وطارق بفتوحات مشتركة في المناطق الشمالية الشرقية فتم فتح سرقسطة وغيرها من مدن الشمال الشرقي بعدها قرر موسى فتح مناطق مناطق قشتالة القديمة ففتحت معظم جليقية والاشتوريش .كما قام عبد العزيز بن موسى وهو احد ابناء موسى بن نصير الذين رافقوه في عملية الفتح قام بفتح المناطق الجنبية والجنوبية الشرقية من اسبانيا بعدها توجه لفتح المناطق الشرقية وخاصة كورة تدمير التي امتنع حاكمه من تسليمها الان الطرفان توصلا لعقد معاهدة صلح ضمنت العديد من الامتيازات لحاكم المدينة وهذه اول معاهدة تبرم بين العرب والحكام المحليين المقيمين في الاندلس وكان من ابرز بنود هذه المعاهدة :

١- ان سكان هذه المدينة (تدمير) آمنين على ارواحهم واموالهم .

٢- لهم الحرية التامة بممارسة طقوسهم وشعائرهم الدينية في كنائسهم .

٣-يتعهد امير تدمير بعدم اخفائه اي معلومات عن تحركات اعداء المسلمين .

٤- يدفع امير تدمير جزية سنوية للمسلمين مقدارها دينار نقداً.الى جانب ذلك مقدار من القمح والشعير والعسل عن كل فرد حر ونصف هذه الكمية على العبيد .

ولم يمض وقت طويل حتى اتم عبد العزيز فتح وسط البرتغال . وهكذا استطاع العهكذا استطاع العرب خلال اربع سنوات ان يفتحوا معظم المناطق في شبه الجزيرة الايبيرية . بعد ذلك اسل الخليفة الوليد الاول الى كل من موسى وطارق يأمرهم بالرحيل الى دمشق وقبل ان يرحلوا اختار موسى مدينة (اشبيلية) عاصمة للبلاد لقربها من البحر ومضيق جبل طارق كما جعله قاعدة بحرية للدولة العربية في الاندلس . وسار القائدان الى دمشق لكن قبل وصولهما اليها توفي الخليفة فخافه اخوه سليمان الذي حقد على موسى لانه لم يتريث او ينتظر حتى يموت الوليد حتى ينال سليمان الغنائم التي غنمها القائدان طارق بن زياد وموسى بن نصير وشرف الفتح وقد عاقب الخليفة سليمان موسى بن نصير على ذلك وسجنه في حين لم يعرف مصير طارق بن زياد.

الفصل الثالث

(عصر الولاة في الاندلس)

بالغزوا ت الخارجية التي شنها ولاة الاندلس على جنوب فرنسا ، وكما اشتهرت ايضاً بالفتـــــن الداخلية التي قامت بين العرب والبربر تارة ، وبين العرب انفسهم تارة اخرى .وكانت الاندلس في ذلك الوقت امارة غير مستقلة وغير وراثية ، وتتبع الخلافة الاموية بدمشق ويحكمها وال يعـــرف بالاميريتبع امير افريقيامن الناحية الادارية ، بمعنى ان امير القيروان هو الذي كان يعيـــــن ولاة الاندلس في غالب الاحيان وشهد هذا العصر امرين مهمين .

اولاً: النشاط الحربي للعرب في شمال اسبانيا في عهد الولاة

(أ)منطقة الشمال الغربي (منطقة جليقية):

تركزت المقاومة القوطية للنفوذ العربي في اسبانيا في في منطقتين من الشمال الاسباني الاولـــى : منطقة الشمال الغربي الذي يسمى جيليقية وتعد هذه الاجزاء من المناطق الوعرة جداً لانها تضـــم هضاب اشتوريش القاحلة ، والثانية : جبال البرت على طول الساحل الى الغرب من جبال كنتبرية في الجهات الشمالية الشرقية من شبه الجزيرة . كانت هذه المنطقة هدفاً للقوات الاسلامية لانهـــا شكلت خطراً كبيراً على الوجود العربي الاسلامي في الاندلس الا ان المسلمين انصرفوا فـــي اول امرهم الى المنازعات التافهة فضعفوا انفسهم واعطوا لاولئك المتمردين فرصة قيمة ليثبتوا نفوذهم ويتحولوا من مجموعة صغيرة مطاردة الى قوة استطاعت ان تأسس امارات قوية كان لها الدور الكبير في القضاء على دولة الاسلام في الاندلس بعد ثمانية قرون على قيامها .

كان زعيم حركة المقاومة الاسبانية في جليقية شخص يدعى بلاي اعتصم في صخرة بلاي وقد اطمأن بهم المقام في هذا المكان لبعده عن العرب الذين عجزوا عن الوصول اليه بسبب مناعة هذه الصخرة التي هي اعلى قمم جبال كنتبريه وهكذا اصبح بلاي يشكل تهديداً خطيراً للمسلمين في الاندلس وكان من الضروري ان تتخذ ازاءه اجراءات قوية وقد ادرك اهل الاندلس هذا الخطر في عهد الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي (١٠٣-١٠٧هـ) الذي ارسل حملة الى هذه المنطقة للقضاء على المقاومة فيها ولكن بلاي انسحب الى المواقع الحصينة من الصخرة ، وتحصن في مغارة كوفادونجا وتمكن من احراز النصر على هذه الحملة وقتل الكثير من افرادها .

في عهد الوالي عقبة بن الحجاج السلولي (١١٦-١٢٣هـ) وجه اهتمامه نحو الفتوح عبر جبال البرت اذ خرجت حملة الى منطقة الشمال الغربي وهاجمت منطقة جليقية وقد استطاع عقبة ان يفتتح كل قرية من قراها ، ولكنه لم يستطع السيطرة على الصخرة التي امتنع فيها بلاي مع الناجين من انصاره وكان عدد هؤلاء نحو ثلاثمائة رجل . وقد حاصر المسلمون هؤلاء حتى هلك الكثير منهم من الجوع ، وظل على قيد الحياة نحو ثلاثين رجلاً وعشر نساء . ويقال ان هؤلاء اقتاتوا فقط على العسل الذي كانوا يستخرجونه من بعض المناحل المتوفرة في شقوق شقوق الصخرة وبعد ان اعيا المسلمين امرهم واحتقروهم ثم بلغ امرهم الى امر عظيم .

والثابت على اي حال ، كما يرى الدكتور حسين مؤنس ، ان العرب والمسلمين لم يتركوا هؤلاء لانهم هُزموا من قبل بلاي او لانهم احتقروهم لقلة عددهم ، بل لأن الفاتحين انصرفوا في اول امرهم في الاندلس الى المنازعات التافهة فأضعفوا انفسهم ، واعطوا لهؤلاء الرجال فرصة قيمة ليثبتوا مقاومتهم وتحولوا من مجموعة صغيرة مُطاردة الى دولة مستقرة. وقد ادى انصراف العرب عن القضاء على هذه الدولة ، الى وضع جديد في شبه الجزيرة في شبه الجزيرة الايبيرية ملخصه وجود قوتين في البلاد .

(ب)المقاومة في الشمال الشرقي (جبال البرت):

لم تقتصر حركة المقاومة الاسبانية للفتح على منطقة الصخرة بل كانت هناك بؤر اخرى للمقاومة تركزت في جبال البرت وامتدت على طول الساحل الى الغرب في جبال كنتبريه . وقد تمركزت اول هذه التجمعات في الطرف الشرقي من هذه الجبال ،تحت زعامة بطرة (Pedro)الذي انشأ امارة سميت بأمارة كنتبريه . وكان هذا التجمع قليل الاهمية في اول الامر ولكن اصبح له شأن كبير ، خاصة بعد زواج الفونسو الاول ، ابن بطرة ،من ابنة بلاي . وقد كانت هذه الامارة ومنطقة جبال البرت وبلاد الباسك اوالبشكنس هدفاً للقوات الاسلامية المتجهة الى فرنسا . وتدل الحملات المبكرة على بلاد البشكنس الى ازدياد خطرهم خاصة بعد اندحار المسلمين في معركة بلاط الشهداء عام (١١٤هـ) وقد اشتدت مقاومة البشكنس في عهد آخر ولاة الاندلس يوسف بن عبدالله الفهري ربما كان للنجاح الذي احدثته جماعة بلاي اثر في ذلك .

ثانياً :استعراض لنشاط المسلمين الحربي في جنوب فرنسا في عصر الولاة :-

تفصل جبال البرت ، وهي التي تعرف خطأ باسم البرانس ، اسبانيا عن الجنوب فرنسا . وكانت هذه المنطقة الجنوبية من فرنسا تسمى بغالة وهي تتألف من عدة ولايات ، كولايات سبتمانية ،وتعني المقاطعة ذات المدن السبع منها اربونة وهي عاصمة هذه الولاية ، وقرقشونة وتقع دوقية اكيتانية الى الشمال الغربي من ولاية سبتمانية وعاصمتها برديل او بوردو الواقعة على مصب نهر الجارون . ومن مقاطعات غالة الاخرى اقليم بروفانس ، الذي يقع الى الشمال الشرقي من سبتمانية ابنيون

الواقعة على وادي رودنة او الرون . والى الغرب من هذا النهر يقع اقليم برغندية وعاصمته مدينة لودون او ليون وكانت المنطقة الواقعة الى الشمال من نهر اللوار خاضعة للدولة الميروفنجية .

وتشير بعض الروايات العربية الى ان موسى بن نصير وطارق بن زياد كانا اول من عبر جبال البرت ففتحا اراضي ومدن في جنوب فرنسا ، منها اربونة وابنيون وليون حتى انتهيا الى وادي رودنة .ولكن ماتذهب اليه هذه الروايات بعيد الاحتمال ولايتوفر لدينا مايؤيد وصول هذين القائدين الى هذه المناطق ، لاسيما ونحن نعلم ان موسى اضطر الى عدم استكمال فتوحه في شبه الجزيرة الايبيرية ذاتها بسبب استدعاء الخليفة له .وهناك رواية مسيحية اخرى تشير الى ان الحر بن عبد الرحمن الثقفي . الذي اعقب ايوب بن حبيب اللخمي قد توغل عبر جبال البرت وافتتح اربونة عاصمة غالة ويذكر المؤرخ الاسباني رامون عبدال ان الحر قد فتح قطلونية وبرشلونة في الشمال الشرقي من اسبانيا ووصل الى جبال البرت ولكن لاتوجد اية اشارات في بقية المصادر المسيحية ، او المصادر العربية القديمة تؤكد هذه الفتوحات ، ولهذا فمن الصعب التعويل على ماجاء في هذه الروايات .

واصل الولاة المسلمون في الاندلس حركة الجها د فيما وراء جبال البرت او (البرانس) وكان اولهم السمح بن مالك الخولاني الذي باشر نشاطاً عظيماً في هذا الميدان حتى استشهد في معركة طولوشة سنة (١٠٢هـ-٧٢١م) في عهد الوالي عنبسة بن سحيم الكلبي عام (١٠٦ هـ - ٧٢٥م)وجه حملة استولى فيها على قرقشونة وغيرها من المدن المهمة وتوغل في الارض الفرنسية حتى اصبح على بعد (٣٠ كم) من جنوب باريس عندما تصدى له اسقف مدينة سانس ليوقف تقدمه وعاد عنبسة مع جيشه بعـــــد ان وصله انباء بحدوث تمرد في البلاد ولكنه هوجم في طريق عودته و استشهد في المعركة .

في ولاية عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي (الثانية التي كانت عام (١١٢ هـ -٧٣٠م) تجددت حركة الجهاد خلف البرتات اذ جهز حملة في عام ١١٤هـ- ٧٣٢م) توجه من بنبلونة الى جبال البرتات ثم الى بوردو فتصدى لهم دوق اكيتانية ولكن عبد الرحمن اوقع به الهزيمة وواصل تقدمه نحو مدينة تور واستشعر حاجب الملوك الميروفنجيين في فرنسا (شال مارتل)الخطر فجمع جيشاً كبيراً والتقى بعبد الرحمن في موقع الى الشمال الشرقي من مدينة بواتيه ودارت بين الجيشين معركة كبيرة هُزم فيها المسلمين وقتل قائدهم عبد الرحمن الغافقي ولكثرة قتلى المسلمين سميت المعركة (بلاط الشهداء) .وكان من اهم الاسباب التي ادت الى هزيمة المسلمين في تلك المعركة :-

١-توغل الجيش العربي لمسافات شاسعة في ارض الاعداء وبعده عن قلب الدولة الاسلامية .

٢- لم يكن بمقدور الجيش ان يحصل على الامدادات من مركز الخلافة او حتى في قرطبة لبعد

المسافة ولتفرق العرب في نواحيها المختلفة نتيجة لاستقرارهم وحتى قواعد المسلمين خلف جبال البرتات كأربونة لم تكن في وضع يسمح لها بأرسال الامدادات لحاجتها اليها في الدفاع عن نفسها .

٣- تكتل الامارات في غالة واستماتتها في الدفاع هذا فضلاًعن معرفة الفرنجة للمواقع وتعودهم على القتال في جوها المطير الشاتي وارضها الموحلة وتلالها الوعرة وسهولة وحصولهم على الامدادات من كل نوع وهذه امور حرم منها المسلمين بعد توغلهم في فرنسا .

اما ماينقله بعض المؤرخين من ان سبب هزيمة المسلمين هو الخلاف في جيش عبد الرحمن وبين العرب والبربر فليس له اساسمن الصحة ذلك ان جيش عبد الرحمن كان يضم اغلبية من البربر المستقرين في الاشتوريش وجبال البرت واعداد قليلة من العرب في من العرب اليمنية المستقرين في منطقة الثغر العلى وسرقسطة وكان جميع هؤلاء مع اسرهم والحقيقة ان مهاجمة الفرنجة لمؤخرة الجيش الاسلامي كانت السبب في ضعف موقف المسلمين فكان عاملاً رئيسياً ومباشراً في هزيمتهم .

حركة الفتوح خلف جبال البرت بعد معركة بلاط الشهداء :

قام الوالي الذي عين بعد عبد الرحمن وهو عبد الملك بن قطن الفهري عام (١١٤-١١٦هـ) في ولايته الاولى بالتوجه الى شمال اسبانيا وهناك قضى على تمرد الولايات التابعة للمسلمين التي استغلت فرصة اندحار المسلمين في جنوب فرنسا فتمردوا على حكومة قرطبة ثم توجه الى جنوب فرنسا وقام بتحصين المدن التي كانت بأيدي المسلمين . ولكن حركة الفتوح ازدادت بشكل ملحوظ في عهد الوالي عقبة بن الحجاج السلولي (١١٦-١٢٣هـ) الذي اعقب عبد الملك بن قطن فقد كان عقبةاحد كبارالقادة الذين قادوا الحملات في شمال اسبانيا وجنوب فرنسا ففي اسبانيا كما اسلفنا اخضع معظم المناطق القلقة في الشمال والشمال الغربي حيث هاجم بلاي واتباعه ثم استأنف حركة الفتوح خلف البرت ففي ولايته قام العرب المستقرين بتحصين كل المواقع التي تدعى الُربط حتى ضفاف نهر الرون ومع هذا فأن زمام المبادرة لم يكن لعقبة بل لعامله على اربونة يوسف بن عبد الرحمن الفهري – الذي اصبح فيما بعد والياً للاندلس – فقد تحالف مع بعض الامراء في سبتمانية ، وبروفانس . وقد فضل هؤلاء الذين كانوا يخشون كلا من شارل مارتل ، ودوق اكيتانية مساعدة المسلمين للسيطرة على ولاياتهم ووضعها تحت الحماية الاسلامية .

ابتدأ عقبة نشاطه في الفتوح بأن اتخذ مدينة سرقسطة في الشمال الشرقي قاعدة عسكرية له وتوغل في جنوب فرنسا حتى استولى على معظم ولاية بروفانس وهاجم مدناً عديدة ثم هاجموا ولايات شارل مارتل الذي بادر بالعمل فوراً لمقاومة المسلمين وتمكن بمساعدة اخيه من استعادة الكثير من الاماكن الحصينة ثم تقدم بعد ذلك الى اربونة التي انقطعت عنها الاتصالات بالاندلس بسبب المقاومة المسيحية في جبال البرت وقد ارسل عقبة حملة لنجدة اربونة الا انها لم تستطع انقاذها لان شارل مارتل تمكن من دحرها . على الرغم من ذلك فأن المسلمين عادوا واستولوا على المدينةالتي ظلت قاعدة اسلامية الى عهد عبد الرحمن الاول مؤسس الامارة الاموية .

ثانياً: الفتن والاضطرابات الداخلية

شهدت هذه الفترة فتن واضطرابات بين ابناء المجتمع الاندلسي سواءاً اكان بين العرب انفسهم او بين العرب انفسهم اوبين العرب والبربر . اثر تمرد البربر في بلاد المغرب على سلطان المغرب اضطر والي الاندلس عبد الملك بن قطن ، ان يستعين بقوة الفرسان الشاميين المحاصرين في مدينة سبته ، فعرض عليهم المرور الى الاندلس بشرط ان يشتركوا معه في اخماد ثورات البربر ثم ، يعودوا ثانية الى المغرب بمجرد انتهائهم من هذه المهمة التي حددت بمدة سنة .واضطر بلج بن بشر واصحابه الى قبول هذا الشرط لسوء حالتهم . وكان ثوار البربر في ذلك الوقت وقد وحدوا صفوفهم وقسموا انفسهم الى ثلاثة جيوش :

١- جيش يهاجم طليطلة ٢- جيش يهاجم قرطبة ٣- والجيش الثالث يتجه جنوباً للقضاء على قوة الشاميين في سبته والاتصال بأخوانهم بربر المغرب .

في ذلك الوقت كان بلج بن بشر قد عبر الى الاندلس ، وعلم بخطة البربر فراى ان يبدأ بمقاتلة الجيش الثالث القادم نحوه كي يحول دون اتصاله ببربر المغرب .

وعند بلدة شذونة انتصر على الجيش الثاني ، ثم بعد ذلك اتحد جيشه مع الجيوش العربية الاخرى وساروا جميعاً نحو طليطلة حيث اصطدموا على نهر التاجو بتجمعات البربر الرئسية وانتصروا عليها فقضوا بذلك على ثورة البربر .

اخذ بلج واصحابه بعد ذلك ينعمون بحلاوة النصر ، ويتمتعون بالطعام والشراب والنساء بعد الحرمان الذي عانوه في سبته . ومن العجيب ان والي الاندلس عبد الملك بن قطن طلب منهم بعد ذلك ان يعودوا الى المغرب حسب الاتفاق المبرم بينهم . فما كان منهم الا ان ثاروا عليه وقتلوه واقاموا مكانه قائدهم بلج بن بشر . وقد اثار هذا العمل غضب الحجازيين ، فقتلوا بدورهم بلج بن بشر ، وقامت بين الطائفتين حروب عنيفة استمرت كثر من عام . وفي سنة ١٢٣هـ (٧٤٣م) ولي على الاندلس والٍ ارتضاه الفريقان الا انه كان يمني الاصل وفي نفس الوقت من اعيان الشام وهو الشاعر ابو الخطار بن ضرار الكلبي ، واستطاع هذا الوالي الجديد ان يعالج الامور بسياسة من الحزم والاعتدال فسوى بين جميع القبائل ، ووزع جنود الشام على مختلف الكور او الولايات الاندلسية ليحد من شوكتهم .

وقد حرص ابو الخطار في هذا التوزيع على ان تكون الامكنة التي ينزلون فيها مشابهة الى حد كبير بالاماكن التي جاءوا منها في المشرق . فأهل حمص مثلاً انزلهم مدينة اشبيلية وسماها حمص ، واهل دمشق انزلهم غرناطة وسماها دمشق ، واهل الاردن انزلهم مالقة وسماها الاردن ، واهل مصر انزلهم تدمير (مرسية) وسماها مصر وهكذا قسمت الاراضي على هيأة اقطاعات عسكرية ، كل قبيلة تجبي غلة تلك الناحية التي نزلت فيها وتأخذ عطائها منها والزيادة لبيت المال ومن الطريف ان تلك التسميات المشرقية ظلت مرادفة لأسماء هذه المدن الاندلسية ولاسيما في الشعر الاندلسي الذي كثيراً متخللته كلمات مثل حمص ودمشق للدلالة على اشبيلية وغرناطة .

بهذا التقسيم هدأت الفتن واستقرت الامور في الاندلس ولكن لفترة قصيرة فقط اذ سرعان ماقامت في الاندلس وفي غيرها من بلاد العالم الاسلامي ، حروب داخلية اخرى في اواخر ايام الدولـــة الاموية ، وهي حروب العصبية القبلية بين اليمنية والقيسية . ففي الاندلس نجد ان استقرار العرب واستيطانهم في بلاد الاندلس نجد القبائل الشامية والحجازية تنقسم على نفسها الى هاتين العصبيتين وكان زعيم اليمنية هو الوالي نفسه ابو الخطار الكلبي ، وكان الصميل بن حاتم حفيد شمر بن ذي الجوشن قاتل الامام الحسين (ع) في كربلاء ، وكان الصميل دخل الاندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري السلف الذكر . وكان السبب المباشر لقيام حرب العصبيات في الاندلس بسيطاً في حد ذاته ، اذ وقع خلافبين شخصيتين احدهما مضري والاخر يمني ، فلجأ الاثنان الى الوالي ابي الخطار فقضي الامر لليمني ، فظن المضري ان هذا الحكم تعصب من الوالي لكونه يمنياً ، ولجأ الى زعيم المضرية الصميل بن حاتم وشكى له تصرف الوالي ، فذهب الصميل الى الوالي ابي الخطار وكلمه في الامر ، فوقع جدال بينهما لم يلبث ان تطور الى نقاش حاد ، وهين الصميل في المجلس فخرج منه غاضباً على اسوأ حال وقد حُلت عمامته ، ويقال ان احد الحراس قال له اثناء خروجه :(اصلح عمامتك ابا جوشن) ، فرد عليه بقوله (ان كان لي قوم فسيقومونها) . وقامت الحرب بين الجانبين على ضفاف نهر الوادي الكبير ، واستمرت سجالاً بينهما الى ان تمكنت المضرية من هزيمة اليمنية في موقعة كبيرة عند بلدة شقندة في جنوب قرطبة . واتطاع الصميل بهذا النصر ان يعزل ابا الخطار من ولاية الاندلس . وان يقيم مكانه رجلاً محايداًة بين عرب الشمال والجنوب اسمه يوسف الفهري . ولاشك ان هذا الاختيار دل على ذكاء الصميل ومهارته السياسية ، اذانه ارضى الفريقين المتنازعين بينما ظل هو الحاكم الحقيقي في الواقع

الفصل الرابع

(استقرار العرب واستيطانهم في بلاد الاندلس)

البلديون:

سارت عملية استقرار العرب جنباً الى جنب مع عملية الفتح كان كل من طارق وموسى يتركـــان حاميات عسكرية في المناطق المفتوحة اذ شكلت نواة للمستقرين المسلمين كان هؤلاء يتكونون من العشائر العربية اليمنية وقلة من قبائل اخرى مثل (ربيعة) و(مضر) والعشائر البربرية وقد عُرف هؤلاء بـ (بالبلديين) لانهم عدوا انفسهم المالكين الحقيقين للبلاد . وهذه هي المجموعة الاولى التي دخلت الى الاندلس اما المجموعة الثانية التي دخلت بعد فترة وجيزة من الفتح وتتألف من العشائر (الشامية) التي عبرت شمال افريقيا اثر تمرد البربر في المغرب وسمي هؤلا بالشاميين او (طالعة بلج بن بشر القشيري) الذي تزعمهم في عبورهم الى البلاد وباستثناء هاتين المجموعتيـــن فأن عددالعرب الداخلين الى الاندلس بعد ذلك كان قليل ويتكون هؤلاء من بعض الافراد الذين عبروا

بصورة منفردة ومن الحرس الذين را فقوا الوالي الحربن عبد الرحمن الثقفي وكذلك بعض الرجال الذين عبروا مع ولاة آخرين مثل السمح بن مالك الخولاني وابو الخطار الكلبي .

بالنسبة للبلديين فقد كان استقرارهم على امتداد الطريق الذي سلكه طارق وموسى اثناء عملية الفتح ولم يستقر هؤلاء تبعاً لترتيبات وضعها موسى بل ان الاستقرار بل ان الاستقرار جاء تبعاً للصدفة وفي المناطق التي مرت بها الحملات العربية وان ذلك ينطبق على العرب والبربر على حد سواء وليس هناك صحة لما يروجه بعض المستشرقين من ان العرب لم يكونوا عادلين في قسمتهم للارض واعطوا البربر المناطق الجبلية القاحلة وخصوا انفسهم بالسهول الخصبة . ان عملية الاستقرار خضعت للصدفة لا غير كما ان البربر كانوا اكثر اطلاعاً على المنطقة ولهذا كانوافي موقف افضل لاختيار احسن المناطق لاستقرارهم ويمكننا ان نعزو اختيارهم للمناطق الجبلية الى انهم عاشوا في الاصل في مناطق جبلية في شمال افريقيا ولهذا فأنهم استقروا في مناطق تشبه مناطق استقرارهم الاصلية . وبنتمي البربر الى مختلف القبائل البربرية .

<u>الشاميون :</u>

هؤلاء بالاصل من القبائل العربية في بلاد الشام الذين ارسلهم الخليفة (هشام بن عبد الملك) للقضاء على تمرد البربر في شمال افريقيا وكان يقودهم (كلثوم بن عياض القشيري) وعددهم (٣٠٠٠٠) رجل وقد استطاع البربر هزيمتهم وحاصروهم وقتلوا زعيمهم (كلثوم) فتولى قيادتهم ابن أخيه (بلج بن بشر) فألتمس بشر من والي الاندلس في تلك الفترة (عبد الملك بن قطن الفهري)- في ولايته الثانية –التمس منه ان يسمح له ولرجاله عبور الاندلس فرفض الوالي ذلك لانه كان يخشى هو وكبار رجال البلديين دخولهم واحتمال ابعاد بلج لعبد الملك بن قطن عن ولايته .

كما انهم لايسمحون بأستقرار اعداد اخرى من اجند في ارضهم وقد منع عبدالملك بن قطن ارسال أي معونات لهم وعاقب بشدة الذين تجرءوا على ذلك ولكن تطورت الاحداث في الاندلس واضطر عبد الملك الى تغيير رأيه فقد ادت ثورة البربر في شمال افريقيا الى اثارة بربرالاندلس ايضاً للتمرد على العرب وقد فشلت القوات العربية في اخماد هذا التمرد عندما ادرك عبد الملك بن قطن انه لايمكن التغلب عليهم الا بمساعدة الشاميين . وسمح لهم بالدخول الى الاندلس وفقاً لشروط معينة منها ان يغادروا البلاد بعد سنه واحدة بعد ان يكونوا قد هزموا البربر . فعبر هؤلاء وبعد هزيمتهم للبربر رفضوا ان يغادروا البلاد من هنا بدأ صراع مرير بينهم وبين البربر واستمر حتى مجيء الوالي (ابو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي) الذي كان عليه ان يجد جواً مناسباً لاستقرار الشاميين ولم تكن هذه بالمهمة لان قرطبة كانت قد ازدحمت بالبلديين وهم يطالبون بأنسحاب الشاميين ولم يكن امام الوالي الا ان يمنحهم اقطاعات من الارض لم يستقر فيها البلديين في كور معينة من الاندلس وقد تم توزيعهم على غرار توزيعاتهم السبعة في بلاد الشام أي نظام (الجند) وقد غير وصول الشاميين موازين القوى لصالح المسلمين .كان اهم تنظيمات ابي الخطار ان يكون للشاميين ثلثا الاراضي التي يستقرون فيها ويبقى الثلث الاخر للسكان المحليين ولم الشاميون مطالبون بأية التزامات سوى الخدمة في الجيش وكانوا معفيين من اداء العشور عن اراضيهم بينما لم يُعفَ البلديين من الضريبة وفي العهود اللاحقة في فترة الامارة وعصر الخلافة فأن الشاميين حصلوا على امتيازات آخرى على حساب البلديين الذين فقدوا بالتدريج سيادتهم

الاولى على البلاد بدخول الشاميين وتألف الشاميون من (٨٠٠٠)عربي (٢٠٠٠) من الموالي وينتهي العرب فيهم الى مختلف قبائل اليمن ، ومضر ، وربيعة اما الموالي فكانوا ينتمون الى اصول بيزنطية او بربرية وشمال افريقية وقد سمي الموالي الذين دخلوا مع الشاميين بالموالي الشاميين كانوا على اتصال وثيق مع الاسرة الاموية

(الفصل الخامس)

(عصر الامارة الاموية في الاندلس)

دخول عبدالرحمن بن معاوية الى الاندلس وتأسيس الامارة الاموية :

ويبدأ هذا العصر منذ اعلان عبد الرحمن الامارة سنة (١٣٨هـ) حتى قيام الخلافة الاموية سنة (٣١٦هـ)

انتقلت الخلافة اثر نجاح الثورة العباسية من الامويين الى العباسيين عام (١٣٢هـ /٧٥٠م) بعد ذلك بدأ العباسيون بسلسلة من اعمال القتل والتنكيل استهدفت كل افراد البيت الاموي اينما وجدوا فقتل الكثير منهم ومُثل بهم ولم ينجُ من هذه المذابح الا القليلين من افراد البيت الاموي وكان يحيى وعبد الرحمن حفيدا الخليفة (هشام بن عبدالملك) من الناجين الا ان العباسيين استطاعوا فيما بعد ان يقبضوا على يحيى ويقتلوه اما عبد الرحمن فقد استطاع الهرب هو واخيه الاصغر الذي قتله العباسيون فيما بعد وقد قرر عبد الرحمن بعد هذه الاحداث التوجه الى المغرب فلما وصل فلسطين لحق به مولاه بدر ومولى اخته سالم ابو شجاع وكان الاخير على اطلاع ومعرفة بمناطق الشمال الافريقي وقد غادر عبد الرحمن ورفيقاه الى مصر ومنها الى افريقية حيث لم تكن سلطة العباسيين قد اعترف بها بعدهناك كذلك كان افراد البيت الاموي ممن فروا من العباسيين قد لجؤوا الى افريقيا لكن هذا المكان لم يكن ملائماً للجوء لان عبد الرحمن بن حبيب الفهري كان يحكمه وهو لم يعترف بسلطة العباسيين لانه حاول الاستقلال بالحكم ولهذا كان قلق جداً لوجود العديد من الامراء الامويين في بلاده وقد عمل على ابادة العديد منهم هذا مادفع عبد الرحمن للاختفاء عندقبائل البربر حيث تنقل من مكان الى آخر مايقرب من (٥) سنوات فأقام عند قبيلة مكناسة

كما حصل على تأييد قبيلة نفزة وهم اخواله حيث كانت امه سبية بربرية من قبيلة نفزة كذلك حصل على تأييد قبيلة زناته ومغيلة

الاوضاع في الاندلس قبيل دخول عبد الرحمن اليها :

كانت الاندلس في تلك الفترة أي بعد (١٣٠هـ) تعج بالاضطرابات وتنازع القبائل العربية فيها . كانت الولاية فيا قد صفت ليبن عبد الرحمن الفهري وهو واليها الاخير والصميل بن حاتم الكلبي الذي كان من زعماء جند قنسرين والذي قاد حرباً شعواء ضد الوالي ابي الخطار بن حسام الكلبي انتهت بمقتل الاخير وهزيمة مؤيديه من اليمنيين في معركة شقندة وبعد هذه المعركة لم يعد هناك منافس للصميل ويوسف اللذين كانا على خلاف ايضاً فيما بينهما اذا أستأثر الصميل بامور الحكم ولم يبق ليوسف الا الاسم فقط . حاول عبد الرحمن ان يستفيد من هذه الاحداث وقد ساعده على

ذلك وجود العديد من الموالي والانصار للامويين خاصة في كورتي البيرة وجيان وهؤلاء يشكلونن مجموعة الموالي الشاميين وكانوا يتألفون من حوالي (٥٠٠)رجل ومن زعمائهم ابو الحجاج يوسف بن بخت زعيم الموالي في جيان وابو عثمان عبيد الله بن عثمان وبدالله بن خالد زعيما الموالي في جند دمشق في البيرة وقد تمتع هؤلاء الموالي بمكانة اقتصادية ونفوذ كبير

وهيبة قوية بين بقية المستقرين في الاندلس كما انهم خالطوا كبار القادة من الشاميين والبلديين فضلاً عن السكان المحليين وافراد الاسرة المالكة القوطية السابقة .

اتصل عبد الرحمن بمواليه في الاندلس طالباً منه مساعدته في اعادة السلطة الاموية اليها وانه لن يصبر خوفاً من حاكمها يوسف وانه بنتظر جواباً على رسالته اليهم وكان مولاه بدر قد عبر الاندلس اواخر عام (١٣٦هـ) والتقى بأبي عثمان الذي اتصل بالزعيمين الاخرين ونوقشت رسالة عبد الرحمن من قبل الزعماء الثلاثة وقرر الجميع ان محاولة عبد الرحمن تستحق الدعم مهما يكن من امر. فأن من اهم الاسباب التي دعت هؤلاء الزعماء للتعاون مع عبد الرحمن هي :

١- اعتقادهم بأن ذلك سوف يحقق لهم مكاسب كبيرة ويضعهم في مصاف الحاشية المقربة للامير

٢ - ان نجاحه سيضمن بالتأكيد مصالح الموالي عامة وتملكهم للكثير من الضياع الممتازة وتمتعهم بالمناصب الرفيعة في الحكومة الجديدة

مع ذلك قرر الجميع التريث وعرض الموضوع على الصميل بن حاتم شرط ان يكتم يوسف وقد فضل الجميع اخفاء غرض عبدالرحمن الحقيقي من العبور والقول بأنه يريد المجيئ الى الاندلس بحثاً عن الحماية والامان واستعادة املاك جده هشام بن عبد الملك من الخمس وكان الصميل في هذه الاثناء محاصراً في سرقسطة من قبل بعض المجموعات العربية المتمردة .ولم يستطع يوسف مساعدته في فك الحصار بسبب ضعف موقفه في قرطبة فطلب المساعدة من جماعته وابناء جنده في قنسرين والبيرة وقد ساهم زعماء الموالي الثلاثة وهم كل من يوسف بن بخت وعبدالله بن عثمان وعبدالله بن خالد في فك الحصار بنجاح الخطة عرض زعماء الموالي الثلاثة ومعهم (بدر) الامر على الصميل الذي وعدهم بالتفكير في الامر ولم يلزم نفسه بشيئ قبل الوصول الى قرطبة وانتظر الجميع بضعة اشهر للالتقاء بالصميل من جديد . في هذه الاثناء كان يوسف الفهري يستعد لاخضاع التمرد في سرقسطة وقد بعث الى زعماء الموالي الثلاثة يطلب مساعدتهم فرفض هؤلاء مدعين عدم استطاعتهم ذلك بسبب المجاعة المستمرة في البلاد ولانهم سبق وان شاركوا في حملة انقاذ الصميل ورفض هؤلاء اخذ المبلغ الذي عرضه يوسف عليهم لتوزيعه على اتباعهم للمشاركة في الحملة نظراً لقلته ولكنهم بعد ان غادروا الوالي فكروا بالامر وعادوا لاخذ المال لاستخدامه في مساعدة عبد الرحمن الداخل واخذوا المال ووزعوا قسم منه على اتباعهم دون ان يطلبوا منهم الالتحاق بجيش يوسف واحتفظوا بالبقية لوقت الحاجة ولم يغادر زعماء الموالي ابا عثمان وعبد الله بن خالد الى (طليطلة) مع جنودهما كما وعدا يوسف بل بقيا لمقابلة الصميل لمعرفة رأيه النهائي في قضية عبد الرحمن وقد رحب الصميل بلامر وسألهما ان يكتبا له يدعوانه للعبور الى الاندلس لكن يبدوا ان لم يكن متأكداً من رأيه ولم يكن يعي خطورة الموقف ولذلك فقد غير رايه بعد خروج الزعيمين من عنده خوفاً على مركزه وما سيكون من امر من امر القبائل العربية وقد ارسل الى

الزعيمين يخبرهما بتغيير مواقفه وانه على استعداد لاعانة عبد الرحمن عدالرحمن ان طلب غير السلطان والولاية لكنه سيكون اول من يحاربه ان نافسه على الولاية المشتركة بينه وبين يوسف بعد ان فشل زعماء الموالي بالاستغاثة بالصميل لمساعدة عبد الرحمن لم يكن امامهم الا الاتصال بجماعة اليمنيين والتنسيق معهم من اجل

مساعدة عبد الرحمن ولهذا فقد فاتحوا من يوثق به من زعماء اليمنيين ودعوهم الى تأييد مشروعهم بتحويل الحكم في الاندلس وقد كانت استجابة اليمنيين مشجعة جداً .

ويعود السبب في ذلك الى :

١ - ان اليمنيين ومنذ هزيمتهم في (شقنده) يتحينون الفرصة للانتصاف لانفسهم من الصميل ويوسف

٢- امتعاضهم من ادارة الصميل ويوسف المشتركة التي استهدفت تجريدهم من بعض ممتلكاتهم لصالح مؤيدي الصميل ،مهما يكن من امر . فقد استغل موالي بني امية نجاح الدعوة لعبد الرحمن فعجلوا بأرسال وفد اليه مستغلين فرصة انشغال الصميل ويوسف ة استطاع الصميل اقناع يوسف الفهري بضرورة التوجه فوراً لمبأخماد التمرد في سرقسطة وقد تألف الوفد من (١١) عضواً يرافقهم (بدر) وعند وصول الوفد الى شمال افريقيا قدمهم (بدر) الى مولاه واخبره عن نجاحهم وبعد استرضاء بربر (مغيلة) الذي كان يقيم عندهم (الامير) ابحر الجميع الى الاندلس حيث وصل عبد الرحمن ومن معه عام (١٣٨هـ /٧٥٥م) وكان بانتظارهم كل من عبد الله بن خالد وابو عثمان اللذين استضافا الامير عندهم ولقد احدث وصول الامير الى الاندلس حركة نشيطة بين مؤيديه وتجمع انصاره من كل مكان وعندما علم يوسف الفهري ارسل الى عامله في البير يطلب منه ان يقبض على عبد الرحمن الا ان الاخير اجاب بأنه من الصعب القبض عليه لانه كان محمي من قبل جماعته وفي النهايلاقاة عبد الرحمن الا ان جيش يوسف كان منهمكاً بسبب حملة قام بها على بلاد البشكنس كماان معظمهم كان ساخطاً على يوسف والصميل لقتلهما الزعماء القرشيين المتمردين في سرقسطة ولذلك فقد غادر معظمهم المعسكر ولم يبق الا (١٠) رجال من جند اليمن

وبقية الجيش من الشاميين وقد حاول هؤلاء تهوين الامر على يوسف واقناعه بالمضي الى قرطبة فوافق . لكن الصميل اصر على الذهاب لحرب عبد الرحمن الا ان الشتاء وهطول الامطار حال دون ذلك . وقد حاول يوسف فيما بعد ارسال وفد الى الامير يعرض عليه الثروة ومصاهرة الامير يوسف . وهناك اشارة الى ان الوفد عرض على عبد الرحمن ولاية منطقتين في البيرة ورية لكن هــذه المفاوضات فشلت .

استطاع عبد الرحمن ان يجمع الكثير من المؤيدين والانصار وقد قرر الامير وانصاره مغادرة كورة البيرة لعدم توفر مؤيدين كثيرين في هذه المنطقة والاتجاه الى الاجناد التي فيها اهل اليمن في ريه وشذونة ، وقد حصل الامير على النصرة والتأييد في كل من هذه المناطق من اليمنيين والبربر وحتى الشاميين واستقبله العديد من الزعماء اليمنيين والشاميين على حد سواء في اشبيلية

ولقد ازدادت قوات عبد الرحمن على (٣٠٠٠) فارس وفي اثناء وجود الامير بذلك حتى غادر الى (قرطبة) بغية الاستيلاء عليها بشكل مفاجئ فلما علم يوسف والصميل بذلك شرعا فوراً بالعودة الى قرطبة وهكذا تقابل الجيشان في الطريق لايفصلها سوى بهر الوادي الكبير.

كانت مياه نهر الوادي الكبير اقصى ارتفاعها ولهذا لم يكن بامكان أي من الجيشين عبوروحاول عبد الرحمن اشعال النار في معسكره ليوهم يوسف انه مقيم في المعسكر ثم حاول تحت جنح الظلام ان يسير ويسبق يوسف الى قرطبة لكن خدعته اكتشفت ولحق به يوسف وجنده وكلما سار عبد الرحمن سار يوسف وكلما عسكر عسكر الاخر في الجهة المقابلة من النهر واخيراً عسكر يوسف في منطقة المصارة . وانتظر الفريقان (٣) ايام ركز في اثناءها عبد الرحمن على امرين :

١- انهاء الترتيبات الخاصة بتنظيم قواته وتعيين القادة على الفرق العسكرية المختلفة .

٢- مشكلة عبور النهر بدون التعرض الى خطر الهجوم من قبل الاعداء ولم يكون امامه الاالحيلة فأرسل الى يوسف يطلب منه التفاوض وانه موافق على شروطه ورجاه ان لايعارض في عبوره النهر . حتى يكون الطرفان جنباًالى جنب في المفاوضات ولقد جازت هذه الحيلة على يوسف فلم يعترض على عبور عبد الرحمن وجنده وما ان تحقق ذلك لعبد الرحمن حتى هاجم جيش يوسف على حين غره واضطره للقتال دون استعداد وتنظيم كاملين وقد نشبت المعركة بالقرب من (المصارة) ولم يمض وقت طويل حتى استطاع جيش عبد الرحمن ان يحقق نصراً عظيماً على جيش يوسف والصميل ذلك سنة ١٣٨هـ-٧٥٦م في حين فر يوسف هارباً الى طليطلة او البيرة.

وبعد انتصار عبد الرحمن استغلت بعض العناصر من جيشه الفرصة للقيام بأعمال نهب وسلب في مدينة قرطبة خاصة في اماكن سكن يوسف والصميل وممتلكاتهم وعند ما علم عبد الرحمن بذلك لم يوافق اذ امر بالكف عن مثل هذه الاعمال ولكن هذا الموقف لم يحظ بتأييد كل انصار (الامير) وقد اتهمه اليمنيون منهم بالتعصب لقبيلة قريش اما القادة العقلاء فقد اخفوا عدم موافقتهم وقبلوا بموقفه وقبلوا بموقفه على الرغم خيبة املهم فيه ويعود السبب في ذلك الى هدف اليمنيين الاول من تأييد هو الحصول على المزيد من المصالح والممتلكات نتيجة لتغير النظام ولكن موقف عبد الرحمن اثبت خطأ تقديراتهم من اجل ذلك فقد اراد بعض قادتهم تدبير انقلاب سريع ضد عبد الرحمن ومواليه والاستئثار بحكم الاندلس الا ان المؤامرة كشفت واتخذ عبد الرحمن اجراءات سريعة لحماية نفسة ودولته حيث انشأ جهاز للشرطة في عهده واختار حرسه الخاص من مواليه ويعد هذا التمرد الاول الذي قاده الزعماء اليمنيون ضد عبد الرحمن وكان ابو الصباح اليحصبي زعيم العرب في غرب الاندلس من اول الداعين له .

ومن ناحية اخرى فقد حاول كل من يوسف والصميل لم شتات جيشهما ومحاولة السيطرة على البلاد وبوصول هذه الانباء الى عبد الرحمن اسرع في السير اليهما قبل استفحال امرهما وقد حاول احد ابناء يوسف انتهاز فرصة غياب عبد الرحمن واحتلال قرطبة وقد نجح في ذلك فعلاً الا انه عادوغادرها عند سماعه برجوع الاميرمكتفياً بأخذه لابي عثمان احد زعماء الموالي الذي استخلفه الامير على المدينة وقد اعلد عبد الرحمن تنظيم المدينة . مهما يكن من امر فأنه لم يمض وقت طويل حتى ادرك يوسف والصميل ان لاجدوى من المقاومة ففضلا الصلح مع عبد الرحمن وتم عقد اتفاق بين الطرفين سنة (١٤٠هـ -٧٥٧م) وتضمن اعتراف كل من يوسف والصميل بـ (عبد الرحمن) اميراً على الاندلس مقابل احتفاظهما بكل اموالهما واملاكهما واعلان العفو العام

عن جميع انصارهما وقد اخذ عبد الرحمن اثنين من ابناء يوسف كرهينتين حتى تهدأ الامور كما تم تبادل الاسرى بين الطرفين .

على الرغم من عقد الصلح بين الطرفين الا ان الاوضاع لم تستقر بسبب نقمة الكثير من الاسر القرشية الذي خسر من امتيازاتهم التي تحولت الى موالي الامير واقرباءه الذين جاءوا من المشرق ولذلك فقد حاولت تلك الجماعات تحريض يوسف للثورة على عبد الرحمن وحاول يوسف بدوره ان يستميل الصميل ليشاركه في ذلك فرفض الصميل وعلى الرغم من ذلك فقد استطاع يوسف اغراء بعض الزعماء البلديين والبربر في (لقنت ، ماردة ، طليطلة) فثاروا في هذه النواحي عام (١٤١هـ -٧٥٨م) وحاول يوسف ان يستولي على اشبيلية ولكن لم يستطع بسبب قدوم جيش الامير الذي استطاع جيشه ان يهزم المتمردين في حين فر يوسف الذي قتل فيما بعد على يد احد رجال عبد الرحمن اما الصميل فقد اتهم بالاشتراك مع يوسف ذلك بسبب احد ابناء الصميل بالثورة ولم يصدق عبد الرحمن انه لم يشترك في التمرد وقتله فيما بعد هكذا استطاع عبد الرحمن ان يستقل بالحكم ويأسس امارة اموية مستقلة حكمت الاندلس نحو (٣) قرون .

اعمال الامراء الامويين لتثبيت السلطة والاستقرار :-

ابتدأ عهد الامارة بتولي عبد الرحمن للحكم في بلاد الاندلس وبدأ عبد الرحمن حكمه بالخطبة والدعاء للعباسيين لكنه مالبث ان قطع الدعاء لهم . ولكنه لم يلقب نفسه بلقب (بلقب خليفة) واكتفى بأن اضاف الى اسمه لقب (ابن الخلائف) ويعود االسبب في ذلك الى ان عبد الرحمن وخلفاءه كانوا يشعرون ان الخلافة واحدة لاتتعدد وان الخليفة هو الذي يملك الحجاز والشام والعراق ويلقب بـ (امير المؤمنين) وقد لقب عبد الرحمن بلقب (امام) وهو لقب ديني ولم يكن لقباً رسمياً . واستمر خلفاء عبد الرحمن على هذا الحال حتى مجيئ (عبد الرحمن الناصر) الذي تلقب بلقب خليفة بعد اعلانه للخلافة الاموية في الاندلس سنة (٣١٦هـ -٩٢٩م) .

نقل عبد الرحمن صفة الخليفة الوراثي الى الاندلس وقد صاحب هذه العملية بعض المشاكل لكنها لم تضاهي ماكان يحدث في المشرق . ويبدو ان عبد الرحمن فشل في ايجاد نظام بديل لولاية العهد وقد نشب الصراع بين ولدي عبد الرحمن هشام وسليمان بعد وفاة ابيهما على السلطة الا ان هشام استطاع ان يستأثر بالحكم .ونفى كلاً من اخويه سليمان وعبد الله البلنسي – وعبدالله البلنسي هذا هو الذي ايد سليمان في ثورته على هشام – الى المغرب الا ان المشكلة تجددت بعد وفاة هشام وتولي ولده (الحكم) الامارة حيث عاد عماه يطالبان بالسلطة ولكنهما فشلا هذه المرة ايضاً فقتل سليمان وعقد عبدالله الصلح مع الحكم وحددت اقامته في مدينة (بلنسية) بعد ذلك استمر نظام ولاية العهد في الاندلس في عصر الامارة دون مشاكل .

اولاً :- انجازات الامراء الامويين على الصعيد الداخلي :-

١- محاولة تغيير مفهوم الحكم واحلال سلطة الدولة محل سلطة القبيلة : كانت السلطة في عهد الولاة قبلية برغم وجود والي للبلاد وقد حاول كل زعيم قبيلة ان ينال اكبر قدر من الامتيازات له ولقبيلته . كما ان بعض القبائل التي كانت تنفرد بالسلطة تنكل بغيرها من القبائل . ولذلك فقد كانت سياسة عبد الرحمن تصب في ثلاثة اتجاهات :-

١- السيطرة القوية على البلاد .

٢-التقليل من نفوذ رجال القبائل .

٣ - ا حلال سلطة الدولة محل سلطة القبيلة .

وبمان الدولة كانت فوق سلطة القبيلة ومنازعاتها فقد وقف عبد الرحمن موقفاً حازماً من اولئك الذين حاولوا اثارة الفوضى او الانتقام من المهزومين في معركة المصارة على الرغم من انهم كانوا من اتباعه ومؤيديه هذا ماجعلهم يدبرون لخلعه بعد الساعات الاولى من انتصاره . هذا ماجعل عبد الرحمن يحقق سلسلة من الاجراءات اهمها :-

١- تأ سيس جهاز للشرطة

٢- اسناد بعض المناصب الحساسة الى اقرباءه ومواليه .

٣- استرضاء قادة القبائل وبشكل خاص اليمنيين ولكن عبد الرحمن كان يخطط للتخلص نهائياً من نفوذ هؤلاء الزعماء ومن اجل تحقيق هذا الهدف كان عليه ايجاد قوة تحل محل قوة رجال القبائل العرب فأتجه الى تشجيع البربر للاختلاط في جيشه فأصبحوا قوة اساسية بالاضافة الى ذلك اشترى الكثير من العبيد . وكان من جملة المماليك الذي اشتراهم عبد الرحمن سودانيون هكذا تعددت الاصول في جيش الاندلس ولم يعد الامير يعتمد على العنصر العربي فقط . على الرغم من ذلك ظل الجند العربي قوة اساسية في الاندلس وكان يتألف من فئتين رئسيتين (الشاميين والبلديين) ولكل منهما نظام دقيق في العطاء وقد حاول عبد الرحمن ان يستفيد من هذا الجند فثبت من بقي على ولائه له لكنه الغى ديوان من ثاروا عليه واسقط لواء جندهم .

٢- محاولة الحفاظ على وحدة الامة الروحية :-

اعتنق اهل الاندلس في الفترة الاولى مذهب الامام (عبد الرحمن الاوزاعي) وذلك :-

١- الحياة الدينية في الاندلس في تلك الفترة كانت متأثرة ببلاد الشام .

٢- ولأن هذا المذهب كان يناسب وضع اهل الاندلس في الفترة الاولى فقد ركز المذهب على التشريعات الحربية واحكام الحرب والجهاد حيث كان قائم على هذه الامور .

ولكن الاندلسيين اعتنقوا فيما بعد مذهب الامام مالك بن انس (ت ١٧٩هـ -٧٩٥م) وذلك منذ ايام (هشام بن عبد الرحمن) وقد وصل هذا المذهب الى الاندلس بفضل جهود بعض الفقهاء ورجال العلم الذين كانوا يرحلون الى الحج وهناك يلتقون بالامام مالك ويأخذون عنه مذهبه وعندما يعودون الى الاندلس وكان رائد هذه الجماعة هو (زياد بن عبد الرحمن بن زياد اللخمي المعروف بـ (شبطون) الذي كان فقيه الاندلس على مذهب مالك .

على الصعيد الرسمي فقد استهوى مذهب الامام مالك الاميرهشام بن عبد الرحمن الذي نقل له الاندلسيين اعجاب الامام مالك به ومدحه له . الا ان مجموعة من الاسباب السياسية والاجتماعية والنفسية التي ساعدت على انتشار مذهب مالك غير الاعجاب المتبادل بين الامام والامير هشام يمكن اجمالها بما يلي :-

١- كان الامام مالك لايميل الى العباسيين – التي كان مذهبها الرسمي هو المذهب الحنفي – حتى انه افتى لصالح محمد ذو النفس الزكية وقد ادت فتواه هذه الى غضب والي المدينة الذي ضربه

بالسياط . وهذا العداء للعباسيين جمع الامام مالك وبين الامير الاموي هشام فاعتناق الاندلسيين واميرهم لذلك المذهب يحمل بعداً سياسياً ويحقق لهم النزعة الاستقلالية ويؤكد شخصيتهم المتميزة

٢- كان لطبيعة اهل الاندلس اثر في تقبلهم لمذهب مالك ذلك ان طبيعتهم تميل الى البساطة والبعد عن التعقيد وهي لهذا تشبه طبيعة اهل الحجاز الذين تغلب عليهم نزعة اهل الحديث والاعتماد على مذهب مالك الذي يتقيد بالنصوص (القرآن والحديث) ولايلجأ الى الرأي والقياس الا في حدود ضيقة على العكس من البيئة العراقية التي تتميز بالتعقيد وتتعدد فيها الاجناس والملل وتحتاج مشاكلها الى الاجتهاد والالستنتاج وهذه هي الاسس التي يقوم عليها المذهب الحنفي . ولذلك نرى ان الاندلسيين اعتنقوا في البداية مذهب الاوزاعي وهو ايضاً من انصار مدرسة الحديث ثم اعتنقوا مالك فيما بعد .

٣- هناك عامل آخر ربط الاندلسيين بأهل الحجاز اكثر من ارتباطهم بالعراقيين هو ان معظم العرب الفاتحين للاندلس كانوا من اصل حجازي خاصة جيش موسى بن نصير الا الذين دخلوا مع بلج فهم من بلاد الشام ومصر ولم يكن بينهم من ينتمي الى اهل العراق .

كان من اهم النتائج التي حققتها سياسة المذهب الواحد في الاندلس هو :

١- اشاعة نوع من الاستقرار في البلاد لان هذه السياسة جنبت الثغور الاسلامية ورجال القبائل شرور الفتن المذهبية . وحفظت لها سلامتها ووحدتها واستقرارها الروحي .

٢- ولقد اثرت سياسة المذهب الواحد التي اتخذها الاندلسيون على على الممالك المسيحية المجاورة لهم اذ اتبعوا نفس السياسة وتعصبوا للمذهب الكاثوليكي دون غيره من المذاهب الاخرى .

٣-القضاء على الثورات والفتن الداخلية :

تعرض عصر الامارة الى العديد من الثورات الداخلية التي اشترك فيها مختلف عناصر المجتمع الاندلسي الجديد من الفاتحين العرب والبربر او سكان البلاد الاصليون كالمولدين و المستعربين اذ لم تندمج هذه الاجناس بعضاً ببعض ولذلك فن استقرار الامور كان يتوقف على مدى قوة وصلابة الحكومة المركزية في قرطبة . ولقد كانت من الامور التي ساعدت الفئات المتمردة على الثورة والانشقاق هي طبيعة البلاد الجغرافية الجبلية . ويمكننا تقسيم الفتن والثورات الى قسمين :-

١- الفتن والثورات التي حدثت في عهد الامراء الاقوياء الاوائل .

٢- الفتن والثورات التي حدثت اواخر عصر الامارة أي الحقبة التي تميزت بضعف سلطة الحكومة التي امتدت من وفاة الامير عبد الرحمن الثاني (الاوسط) (٢٣٨هـ -٨٥٢ م) الى سنة (٣٠٠هـ -٩١٢م) أي الى عهد الامير عبد الرحمن الثالث الناصر لدين الله الذي اعلنت في عهده الخلافة

١- ثورات القبائل العربية في عهد عبد الرحمن الاول :

كان من اهم اسباب هذه الثورات :-

١- السياسة التي اتبعها عبد الرحمن الاول والتي تهدف الى السيطرة القوية على البلاد والحد من نفوذ رجال القبائل العربية بالتقليل من الاعتماد عليهم وخلق قوة جديدة تعتمد على المماليك والبربر.

٢- ان مجيئ عبد الرحمن الى الحكم لم يحقق لزعماء القبائل ما كانوا يصبون اليه من السلطان والامتيازات وانه استخدمهم كأداة لتحقيق اهدافه ومن ثم عاملهم معاملة الاتباع الذي عليهم حق الطاعة فقط . وهذا ماجعلهم يدبرون لخلعة بعد انتصاره في معركة المصارة مباشرة (كما بينا سابقاً)

(أ) اول من رفع راية العصيان من الزعماء اليمنيين هو العلاء بن مغيث الجذامي رئيس جند مصر في باجة جنوب البرتغال الحالية سنة ١٤٦هـ - ٧٦٣م وتروي المصادر العربية ان الخليفة ابو جعفر المنصور كان المحرض على هذا العصيان بل انه وعد العلاء بأمارة الاندلس ان هو تمكن من الانتصار على عبد الرحمن . لايمكن الركون الى هذه الروايات لان الخلافة العباسية لم تكن مستعدة لذلك والخليفة ابو جعفر انذاك كان مشغول بالمشاكل التي تواجهه في المشرق العربي يضاف الى ذلك ان العباسيين لم يكونوا مسيطرين حتى ذلك الحين على المغرب كانت سلطتهم مهزوزة في افريقيا فكيف يفكرون بالاستيلاء على الاندلس البعيدة . الا انه يمكن ان يكون العلاء قد دعى الى الخلافة العباسية من تلقاء نفسه تقوية للحركة واظهاراً لقدسيتها ولجمع اكبر عددمن المؤيدين وبالطبع فأن الخليفة العباسي كان يظهر الرضى عمن يدعوا بأسمه بالاندلس او بغيرها . مهما يكن من امر فقد استطاع عبد الرحمن ان يقضي على هذه الثورة بعد ان حاصر الثوار في مدينة قرمونة لمدة شهرين ولم يستطع الانتصار عليهم الابصعوبة فقتل منهم عدداً كبيراً وكان من بينهم العلاء نفسه .

(ب) بعد ٣ سنوات من العلاء ثار زعيم عربي آخر يُدعى سعيد اليحصبي المطري في نبله انتقاماً لدماء الذين قُتلوا مع العلاء حيث استولى سعيد على اشبيلية وتحصن باحدى القلاع فسار اليه عبد الرحمن وقضى على حركته وقد قتل قائد الثورة والعديد من اتباعه .

(ج) وفي نفس العام الذى ثار فيه سعيد وهو عام (١٤٩هـ -٧٦٦م) ثار ابو الصباح اليحصبي والي اشبيلية الذي ولاه عبد الرحمن عليها على الرغم من شكه في ولائه له منذ دعوته للاطاحة به بعد انتهاء معركة المصارة ولهذا فقد عزله عبد الرحمن بعد ثورة سعيد فنقم عليه ابو الصباح والب عليه الاجناد الا ان عبد الرحمن استطاع ان ينقلب عليه بالحيلة فحاول التفاوض معه واستدراجه الى قرطبة حيث قتله فتفرق جنده .

كان لمقتل ابي الصباح اثر في اشعال ثورة القبائل اليمنية في غرب الاندلس اذ كان ابو الصباح سيد عرب هذه المناطق ذلك عام (١٥٦هـ - ٧٧٢م) حيث ثاروا في اشبيلية ولبلة وباجة بقيادة (حيوة بن ملا مس الحضرمي) وآخرون من زعماء تلك القبائل كما انضم لهم العديد من البربر المؤيدين لليمنيين وقد استطاع عبد الرحمن القضاء على عهذه بأسلوب التفريق بين اليمنيين والبربر مستعيناً بمواليه من البربر فأقنع هؤلاء بني جلدتهم من البربر بالتخلي عن زعماء الثورة والانضمام الى عبدالرحمن ووعدهم بالعطاء هكذا تخلى البربر عن حلفائهم اليمنيين في المعركة بين الطرفين فهزم الثوار وقتل معظم قادتهم .

٢- ثورات البربر :

بالاضافة لمشاركة البربر في معظم الثورات التي قامت بها القبائل العربية في الاندلس كانت لهم حركاتهم الخاصة بهم وان اهم عوامل تمردهم هي :

١- الكثير منهم كانوا حلفاء للقبائل العربية وتربطهم مصالح مشتركة فيثورون معهم تبعاً لذلك .

٢- كانوا منذ فترة الفتح وعصر الولاة متذمرين من اوضاعهم ويميلون الى الشغب والتمرد . وهناك عوامل اخرى دفعت البربر الى الثورة .

(أ) كأستغلال احد زعمائهم وهو المدعو (شقيا بن عبد الواحد المكناسي) لهم وادعاؤه بأنه من ولد الامام الحسن بن علي فأتخذ له اسماً عربياً هو (عبدالله بن محمد) ودعاهم للثورة ، كانت ثورته في شرق الاندلس في (شنتبريه) ثم امتدت الى اقاليم عديدة في وسط وشمال اسبانيا وعربها .

قامت هذه الحركة في عهد عبد الرحمن الاول واستمرت (١٠) سنوات من عام (١٥١-١٦٠هـ /٧٦٨-٧٧٧م) ولقد واجه عبد الرحمن صعوبة كبيرة في اخماد هذه الثورة ذلك لاعتصام الثوار بالجبال المنيعة ولم يتمكن عبد الرحمنمن القضاء عليهم الا بالتعاون مع احد زعماء البربر وهو (هلال المديوني) الذي ولاه على شنتبريه حث دبر هلال مؤامرة لاغتيال زعيم الحركة (شقيا المكناسي)

(ب) تمرد ابراهيم بن شجرة البرنسي وبربر نفزة . وقد استطاع عبد الرحمن ان يقضي على هذه الثورة بسهولة

(ت) في عهد هشام بن عبد الرحمن ثار البربر في بلاد تاكرنا وهو اقليم رنده الحالية حيث عاث هؤلاء في نواحيها وقتلوا العديد من السكان وقد ارسل اليهم هشام يحذرهم ولما لم ينفع ذلك هاجمتهم قواته وقتلت العديد منهم وفر الباقون .

(ث) في عهد الحكم بن هشام قام البربر بثورة في مدينة ماردة غرب الاندلس حيث كانت هذه المنطقة بؤرة لثورات البربر بقيادة اصبغ بنعبدالله بن وانسوس واستمرت ثورته (٧) سنوات كانت اهم اسبابها انه اراد المزيد من الاستقلال في ادارة المدينة التي كان يحكمها فساءت العلاقة بينه وبين حكومة قرطبة وقد انتهت ثورته بأن طلب الامانمن الامير فأمنه وعفا عنه .

(ج) في مدينة (ماردة) وفي عهد عبد الرحمن الثاني) وفي سنة (٢١٣هـ - ٨٢٨م) ثار البربر بزعامة (محمود بن عبد الجبار) وانضم اليه رجل من المولدين اسمه(سليمان بن مرتين) ولم يستطع الامير القضاء على الثورة الا بعد ان توجه بنفسه الى ماردة وحاصرهم وقد فر الثائران واستقل عبد الجبار بالحركة تساعده اخته جميلة لكنه عندما ضايقته حملات الامير فر الى جليقية ولجأ الى ملكها الفونسو الثاني لكنه بعد فترة اكتشف انه تورط وان الفونسو لايساعده الا ليحقق مكاسب سياسية على حساب الامارة الاموية فحاول العودة الا ان الفونسو اضطره للقتال فقتل واسرت اخته جميلة .

٣- حركة او هيجة الربض [١]

وهي الحركة التي قام بها الفقهاء المالكيون في عهد(الحكم بن هشام) الذي حاول ان يحد من نفوذهم وتسلطهم الذي ازداد قوة منذ عهد ابيه (هشام بن عبد الرحمن)اذ لم يكن الحكم كأبيه ميالاً لوصاية الفقهاء بالنسبة للاسباب غير المباشرة للثورة فهي :-

١- محاربة الفقهاء للحكم بوسائل شتى اهمها تأليب العامة عليه والطعن في سلوكه الديني والاخلاقي .

٢- ان الحكم نفسه كان له دور في تأجيج هذه الفتنة بما وضعه من ضرائب جديدة وظالم على الشعب . وقد مرت هذه الحركة بدورين الاول عام (١٨٩هـ) عندما حاول الفقهاء القيام بمؤامرة لعزل الحكم الا انها اكتشفت وقبض على مدبريها وتم صلبهم وكان بينهم عدد كبير من الفقهاء .

٣- لقد ازداد سخط الفقهاء والعامة على الامير بعد هذه الحادثة . الدور الثاني يأتي بعد (١٤) سنة من وقوع الحادثة الاولى . هو السبب المباشر للفتنة كان مجرد خلاف بين احد جنود الامير (الحكم). واحد الحدادين في منطقة الربض (من المولدين) الذي قتله الجندي وهذا ماأثار سكان الربض الذين تجمهروا حول قصر الامير (الحكم). وقد قضى الامير على هذه الثورة بالحيلة وسحق الثورة بقوة شديدة حتى انه امر بهدم الربض . وحرث ارضه وامر بزراعتها كما القى القبض على نحو (٣٠٠) رجل من زعماء الفتنة وصلبوا صفاً واحداً ونفي من بقي من سكان الربض الى خارج الاندلس وقد اقترن اسم الحكم بمكان الربض فسمي بـ (الحكم الربضي).

وقد كان لهذه الثورة نتائجها على الصعيدين الداخلي والخارجي : -

فعلى الصعيد الداخلي : ادى القضاء على الفتنة الى توطيد حكم الامارة الاموية والقضاء على نفوذ الفقهاء ووصايتهم وتدخلهم في الحكم .

اما على الصعيد الخارجي : فأن افواج المنفيين حطت في اماكن عديدة واثرت في سير الاحداث فيها فقد استقر فريق منهم في المغرب واقاموا في مدينة فاس في الحي المعروف بحي الاندلسيين ونقلوا معهم مظاهر الحضارة الاندلسية فيما يخص الصناعة والابنية البيضاء ذات الحدائق الداخلية هكذا سيطروا على المدينة حتى اصبحت تعرف بأسمهم (مدينة الاندلسيين) اما الفريق الاخر فقد دخلوا الى الاسكندرية وسيطروا عليها مستغلين الفوضى التي حلت من جراء الصراع بين الامين والمأمون فلما استقرت الامور للاخير ارسل احد قادته الى الاندلسيين الذين اضطروا لمصالحتة والاتفاق معه على مغادرة البلاد وعدم التوجه الى أي بقعة تابعة للخلافة العباسية فأتجهوا الى جزيرة كريت (قريطش) ونشروا فيها الاسلام وصارت كريت قاعدة بحرية اسلامية مهمة تهدد سواحل الدولة البيزنطية الا ان امر هذه الدولة انتهى بتغلب البيزنطيين عليها . فتفرق امر الاندلسيين فيها ورحل قسم منهم الى مصر وصقلية وعاد آخرون الى الاندلسيين .

٤- حركات المولدين : -

كان من اهم الاسباب التي دعت المولدين للثورة والتمرد هي : -

(أ) طموحهم الى وضع اجتماعي وسياسي افضل بمشاركة العرب بالحكم والسلطان والاستقلال نهائياً عن حكم بني امية في قرطبة . اما العامل الذي ساعد المولدين على الثورة فهو تركزهم كمجموعات كبيرة في مناطق جغرافية تساعد على الانفصال والتمرد وبشكل خاص في مناطق الثغور المتاخمة للدول المسيحية شمال اسبانيا لذلك فأن حكومة قرطبة دعمت بعض القبائل العربية في المناطق التي كثرت فيها حركات المولدين كأسرة بني تجيب في منطقة الثغر الاعلى .

ومن اهم ثورات المولدين هي ثورتهم في مدينة طليطلة التي كثر فيها عددهم واعتزازهم بمدينتهم فأصبحوا يتحينون الفرص دائماً لشق عصا الطاعة .

ثار المولدون في طليطلة بزعامة (عبيدة بن حميد) عام (١٨١هـ -٧٩٧م) وقد استطاع الحكم ان يقضي على هذه الثورة بواسطة احد المولدين وهو عمروس بن يوسف حيث نجح هذا الاخير باغراء بعض وجهاء المدينة لاغتيال (عبيد) وبهذا خمدت الثورة الى حين ، وقد عينه الحكم والياً على المدينةً حتى يستطيع ان يطلع على اسرارهم لأنه من بني جلدتهم وعندما ،فوثقوا به ومنحوه طاعتهم واطلعوه على على اسرارهم .ولكنه وبتوجيه من الامير الحكم كان يبيت لهم خطة دموية للقضاء على مقاومتهم المستمرة . فأقنع زعماءهم بضرورة بناء قلعة حصينة بظاهر طليطلة بحجة ايواء الجند والمماليك بعيداً عنهم وعن نسائهم . فبنيت القلعة واخذ التراب اللازم لبنائها من نفس المكان فظلت فيه حفرة كبيرة واخبر الامير الحكم بأنتهاء البنيان لاتخاذ الخطوة التالية من العمل ، فسير الحكم جيشاً بقيادة ابنه عبد الرحمن بحجة مقاتلة النصارى في الشمال . وعندما وصل هذا الجيش بالقرب من طليطلة اعلن عن انسحاب العدو ، وبدأ الجيش بالتهيؤ للرجوع . لكن عمروس خرج الى الامير مع وجهاء اهل المدينة ودعوه للدخول فوافق الامير عبد الرحمن بعد تمنع . ثم اقام عمروس وليمة كبيرة للامير دعا اليها زعماء المدينة وكبار الشخصيات فيها . فحضروا الى القلعة التي احتشد فيها الجند . وقد اوهمهم عمروس انهم اذا انتهوا من طعامهم خرجوا من باب عير الباب التي دخلوا منها . ولكن احداً منهم لم يستطيع الخروج لان الجند الذين اصطفوا على طرف الحفرة قتلوا كل الداخلين دون ان يشعر بهم الباقون ، وهكذا بلغ عدد القتلى نحو سبعمائة رجل ومن المؤرخين من يبالغ حتى يجعل عددهم خمسة آلاف وثلاثمائة رجل ويدل هذا على عظم امر هذه المذبحة التي سميت بوقعة الحفرة والتي جردت المدينة من زعمائها واعيانها المتطلعين دوماً الى الثورة ولكن هذه القسوة لم تمنع طليطلة من التمرد على الامراء الامويين الالفترة قصيرة فسرعان ما واصلت الثورة ثانية ثانية في عهد الحكم وفي عهد خلفائه من بني امية . ثم اتخذت ثورات المولدين بعداً ا خطر حين تولى السلطة امراء ضعاف فظهرت بوادر التفكك والتجزء والحركات الانفصالية مثل جركة ابن حفصون ، كم سنرى فيما بعد

٥- حركات المستعربين :-

لم يقم المستعربون بحركات عنف وتمرد على الدولة الاموية في الاندلس على نطاق واسع ، ولكن بعضهم شارك في فتن المولدين التي كانت تقوم في المناطق المختلفة من البلاد . ومع هذا ، فقد حاول بعض المستعربين المتطرفين في قرطبة اثارة فتنة هوجاء ضد الحكم العربي الاسلامي في الاندلس وكان ابطال هذه الحركة جماعة من غلاة رجال الدين المتعصبين الذين نقموا على سيادة العرب والاسلام في البلاد. والواقع ان دوافع هؤلاء لم تكن لها علاقة بأي اضطهاد ديني للمسيحيين ، لان التسامح الديني كان سائداً في الاندلس ، وبشكل خاص في عهد الامير عبد الرحمن الثاني الذي حدثت في عهده هذه الحركة . فكانت حرية المعتقد مضمونة ، وعاش رجال الدين المسيحي من اساقفة ورهبان في امن وسلام ولايتعرض لهم حكام المسلمين بسوء . وكان

المستعربون بشكل خاص قد تحسنت حالتهم الاجتماعية والاقتصادية الى حد كبير بل ان عدداً كبيراً منهم استطاع ان ينال مراتب عالية في الادارة الجيش . وامتهن الباقون التجارة في المدن والثغور ، وكما عملوا في مزارعهم الخاصة او في ضياع المسلمين دون اكراه او استغلال .

ولكن هذه الحالة الفريدة من التسامح التي رضي وحب بها غالبية المستعربين ، لم تلق التأييد من جانب القسس المتعصبين في الكنائس والاديرة الذين ظلوا قابعين في اماكنهم بعيدين عن التطور الذي حل بجماعتهم . ذلك التطور والاندماج الذي ادى الى تكلم المستعربين بلغة الفاتحين العرب ، وتفننهم في استخدام الفصحى وقول الشعر ، وقراءة امهات كتب الادب . بل ان الكثير من المستعربين اقتبسوا عادات الفاتحين وتقاليدهم الاجتماعية التي كانت ، كما يرى رجال الدين المتعصبون لا تتلاءم مع العقيدة المسيحية ، مثل الختان ، واتخاذ الجواري ، والمصاهرة مع المسلمين والحقيقة ان اطلاق اسم المستعربين على هؤلاء يدل دلالة قاطعة على مدى الميول والاتجاهات نحو الثقافة العربية التي كانت تتغلغل في نفوس هذه الطبقة من المجتمع الاندلسي فأهملوا دراسة اللغة اللاتينية التي هي لغة الديانة المسيحية ، وانصرفوا عن قراءة المصنفات الدينية المكتوبة بها ، فأدى هذا بالتدريج الى ذوبان الحضارة المسيحية اللاتينية ولقد بلغت اللغة اللاتينية في بعض اجزاء اسبانيا درجة كبيرة من الانحطاط ، حتى بات من الضروري ان تترجم قوانين الكنيسة الاسبانية القديمة والانجيل الى اللغة العربية ليسهل استعمالها على المسيحيين افزعت هذه الحالة غلاة المتعصبين من رجال الدين ، وبدا لهم مستقبل الكنيسة مخيفاً لإعراض ابنائهم عن الثقافة المسيحية والاتجاه نحو الاستعراب . وعندما لم يفلحوا في وقف هذا التيار ، حاولوا افتعال ازمة مع الحكم العربي المتسامح ، وذلك باظهار الاستخفاف بالإسلام وسب نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ، والتقول عليه بالباطل الى حد الشطط ، استفزازاً لمشاعر المسلمين وانتهاكاً لحرمة ديانتهم جهراً وبغير سبب . وكانوا بهذا يرمون الى خلق جو من التوتر والشعور بالاضطهاد لإن الشرع الاسلامي يعاقب على هذه الجريمة بالموت . ومن ثم يبدو للمسيحيين بأن المسلمين يقتلون اخوانهم ويضطهدونهم ، وهكذا يمكن استعادة من اسلم من هؤلاء او حملهم على عدم التعاطف والتعاون مع المسلمين . ولقد تزعم هذه الفتنة المتطرفة وحرض عليها بعض الغلاة من امثال ايلوخيو، والفارو وذلك في اواخر عهد الامير عبد الرحمن الثاني فكانا يدعوان النصارى الى سب الرسول (ص) واطعن في الاسلام علناً، واقتحام المساجد والاعتداء على المسلمين والتقليل من شأن دينهم . وعلى الرغم من ان عددهؤلاء المتعصبين الانتحاريين لم يكن يزيد في مجموعه عن اربعين شخصاً ،ولكن حكومة قرطبة خشيت سوء عاقبة هذه الحوادث ، واثرها على شعور عامة المسلمين . فلم تجد مناصاً من تطبيق الشرائع والقوانين بمعاقبة هؤلاء بالموت ، لان عدم معاقبتهم قد يؤدي الى استخفاف الناس ، وقلة اكتراثهم بسلطة الدولة ودينها الرسمي ، وذيوع حركة التمرد بين عدد اكبر من المتطرفين . ومع هذا ، فلم يشأ الامير عبد الرحمن ان يلجأ الى وسائل متطرفة للقضاء على الحركة ، ولم ينتقم منجموع المستعربين ، بل اكتفى بالاحكام القضائية التى كان يصدرها القضاة على من يثبت عليه القيام متعمداً بسب الاسلام والنيل من نبيه الكريم . وظلت هذه الموجه من الغلو مستمرة في قرطبة ، حتى ضج منها المسيحيون المعتدلون واظهروا استيائهم من الاستشهاد الذي كان يطلبه المتطرفون . والذي هو في حقيقة الحال نوع من الانتحار الذي حرمه الدين المسيحي . وقد عقد في عام (٢٣٧هـ/٨٥٢ م) مجمع ديني في قرطبة يضم كل اساقفة الاندلس برئاسة مطران اشبيلية ومثل الامير عبد الرحمن فيه احد المستعربين المسيحيين ، وهو غوميز بن انطونيان الذي كان كاتباً عند الامير . فعرض غوميز حالة المنتحرين على المجمع ونتائجها السلبية على كل المستعربين في البلاد . وقد وافق جميع اعضاء المجمع – بأستثناء اسقف قرطبة الذي لزم جانب المتطرفين – على اصدار قرار استنكروا فيه الفتنة الدينية التي جاءت نتيجة الاستعراب ، استمرت بقية عهد الامير عبدالرحمن الثاني ، وام تنتهِالافي بداية حكم ابنه الامير محمد حيث اعدم ايلوخيو المحرض عليها في عام ٢٤٥هـ /٧٥٩ م .

الفتن والاضطرابات في فترة ضعف الامارة الاموية :-

ابتدأت بوفاة عبد الرحمن الثاني او الاوسط عام (٢٣٨هـ /٨٥٢ م) فترة مضطربة تمزقت فيها وحدة الاندلس السياسية ، وقام المنشقون والمتمردون في كل مكان على حكومة الامارة في قرطبة ولم يكن الامراء الذين تولوا هذه الفترة التي امتدت نحو اثنين وستين عاماً يضاهون في كفاءتهم ومقدرتهم الامراء الاوائل وان كان بعضهم يتمتع بمواهب جيدة في الادارة والقيادة ، ولكن ظروف العصر كانت غير عادية ، وبالتالي تحتاج الى رجال افذاذ ،وحكام غير اعتياديين من فأنه من غير الصواب تحميل امراء هذه الفترة الثلاثة وهم كل من الامير محمد بن عبد الرحمن ، وابنيه المنذر بن محمد وعبد الله بن محمد ، مسؤولية الانهيار السياسي والاضطراب التي ميزت هذه الحقبة فلقد كانت البنية الاجتماعية في الاندلس غير منسجمةٌ لانها تتألف من شعوب واجناس مختلفة تتنافر مصالحها مع بعضها البعض ، لايجمعها سوى قوة السلطة المركزية في قرطبة . وهذه الفئات ،كما اسلفنا ، كانت تتألف من اهالي البلاد ، بنوعيهم المسلمين الذين سموا بالمولدين والمستعربين الذين ظلوا على عبادتهم المسيحية ، وكذلك من الفاتحين العرب والبربر ولم يكن الانسجام التام سائداً حتى بين الفاتحين انفسهم فالخلافات بين القبائل كانت ماتزال تعمل عملها في الفرقة وكذلك البربر كان عددهم يفوق عدد العرب ولهم طموح شديد ، وتتنازعهم مشاعر السيطرة والمشاركة في الحكم .

لقد كانت قوة الامراء الاوائل هي العامل الوحيد الذي جمع بين هذه الاجناس وجعلها تعيش في وئام مع بعضها ولكن مان غابت هذه القوة حتى بدأت العناصر المختلفة بالتحرك والوثوب على سلطة الامارة .و ساعدها على ذلك طبيعة البلاد الجغرافية الجبلية وسهولة اعلان العصيان وسهولة الالتجاء الى المناطق المنيعة كما زاد من هذه الحالة ايضاً وقواها العدائية العلاقة التي كانت سائدة بين الامارة الاموية ، والامارات النصرانية الاسبانية في الشمال ، التي كانت تساعد في اذكاء روح التنافر والخلاف بين هذه الاجناس ، وتحضها على شق عصا الطاعة خدمة لمصالحها التوسعية في الاندلس . وقد اوضح لنا مؤرخ اندلسي وهو ابن الخطيب ، الاسباب التي ادت الى كثرة الثوار والمتمردين في الاندلس وهي تتلخص في ثلاثة اسباب ، الاول : هو منعة البلاد وحصانة البلاد وبأس اهلها بسبب تجاورهم مع النصارى في الشمال ، والثاني : هو علو الهمم وشموخ الانوف ، وقلة الاحتمال للطاعة ، لان من دخل الاندلس من العرب والبربر كانوا اشرافاً يأنف بعضهم من الاذعان لبعض ، والثالث : هو الاستناد عند الضيق والاضطرار الى ملوك النصارى ، الذين كانوا يحرصون على ضرب المسلمين بعضهم ببعض .

لقد اطلق المؤرخون على هذا العصر ، الذي تميز باضمحلال السلطة الاموية واقتصارها على قرطبة ونواحيها فقط ، اسم عصر الانتكاسة او دويلات الطوائف الاولى ، تمييزاً له عن عصر الطوائف الذي اعقب سقوط الخلافة الاموية في قرطبة ٤٢٢هـ /١٠٣١م فظهرت في هذه الحقبة جماعات عديدة خرجت على السلطة واستقلت في النواحي التي كانت تستقر فيها وسنذكر باختصاراهم هذه الجماعات :-

أ- الخارجون من العرب : -

ومن هؤلاء بنو الحجاج ،الذين استقلوا بأشبيلية وقرمونة بزعامة ابراهيم بن حجاج بن عمير اللخمي . وقد ازدهرت اشبيلية في عهده ، كما نافس امير قرطبة وقلده في عظمة بلاطه ، ومظاهر الترف ، واجتذاب الادباء والشعراء وتشجيع رجال العلم . وكان احمد بن عبد ربه ، صاحب كتاب " العقد الفريد " من اشهر من تألق في بلاطه وبرز بعض الزعماء العرب الاخرون في جهات عديدة من البلاد مثل محمد بن اضحي الهمداني ، وسعيد بن سليمان بن جودي في كورة البيرة وبنو المهاجر التجيبيون الذين انفردوا بحكم سرقسطة

ب- الخارجون من البربر :-

يعد بنو موسى بن ذنون من اشهر الخارجين على الامراء في فترة الضعف ثاروا في شنت مرية ، وسيطروا على الثغر الادنى ، طليطلة وماجاوروها ، كما ثار خليل وسعيد ، ابنا المهلب من بيوتات البربر الكبيرة في كورة البيرة . واستقل بنو الملاح بزعامة عمر بن بن مضم الهترولي الملاحي بمدينة جيان .

ج- الخارجون من المولدين:-

يعد عمرو بن حفصون من اشهر الثوار الخارجين على السلطة الاموية في قرطبة . وكان هذا من اسرة فقيرة اعتنقت الاسلام منذ عهد الحكم بن هشام لكنه عاش في بداية حياته في اقليم رنده ، ثم فر الى المغرب بعد ارتكابه لجريمة قتل لكنه عاد الى الاندلس واستولى على حصن روماني منيع اسمه ببشتر في المناطق الجنوبية في اقليم رية . وقد التفت حوله جماعة من المولدين وذلك في سنة (٢٦٧هـ /٨٨٠م) حيث اخذ بمهاجمة الجهات المجاورة لمنطقته والتوسع في الاغارة حتى وصل الى المناطق القريبة من قرطبة ذاتها . وقد عاصرت حركة هذا المتمرد الامراء الثلاثة الذين حكموا في هذه الحقبة ، ولم يستطع اي منهم القضاء على حركته وفي اواخر ايامه تحول الى المسيحية ، ظناً منه ان هذا الاجراء سيكتب النجاح لتمرده . ولكن بواعث هذا التحول تبدو سياسية اكثر منها عقائدية ، قصد منها تلقي الدعم من المستعربين ومن ملوكالدويلات النصرانية الاسبانية

لأسقاط دولة العرب في الاندلس . ولم تنتهِ حركة عمرو بن حفصون الا في عهد امير الاندلس عبد الرحمن الناصر لدين الله .

ومن المولدين الآخرين الذين كونوا دويلات مستقلة عن قرطبة ، بنو قسي او بنو موسى بن فرتون ، الذين تمردوا في الثغر الاعلى في شمال اسبانيا . وكذلك بنو مروان الجليقي ، الذين استقلوا بولاية بطليوس في غرب اسبانيا وسعدون بن فتح السرنباقي الذي ثار بالقرب من مدينة قلنبرية في البرتغال الحالية ، وكان صديقاًلعبد الرحمن بن مروان الجليقي . ولقد استمرت هذه الجماعات في تمردها وانفصالها عن السلطة الاموية ، طيلة فترة الفوضى التي اشرنا اليها . ولم يستطع الامراء ان يقوموا باجراءات فعالة لإستعادة وحدة البلاد والقضاء على هذه الفتن على الرغم مما بذلوه من جهد وحملات وجههوها الى مناطق المتمردين المختلفة . وظهر بوضوح ان الحكم العربي في الاندلس بات على وشك الانتهاء لولا ظهور عبد الرحمن الثالث على المسرح السياسي.

ثانياً :- انجازات الامراء على الصعيد الخارجي :- تعرضت الاندلس الى بعض الاعتداءات

الخارجية التي حاول الامراء صدها منها هجوم شارلمان ملك الكارولنجيين في عهد عبد الرحمن الاول وغارات النورمان على الاندلس .

(أ) هجوم شارلمان على الاندلس : في عهد(عبد الرحمن الاول) تمرد بعض الزعماء العرب في سرقسطة يتزعمهم (سليمان بن يقظان الكلبي) و(والحسين بن يحيى الانصاري) وسرعان ما استعان الثوار بملك (شارلمان) الذي وعده سليمان بتسليمه مدينة سرقسطة ان هو ساعده في قتل عبد الرحمن وقد رحب شارلمان بذلك لعدة اسباب سياسية على الرغم من انها كانت مبطنة بمظهر ديني هو حماية النصرانية وتخليص جليقية من ايدي المسلمين ولكن الاسباب الحقيقية هي : ان شارلمان اراد ان يأمن حدوده الجنوبية بالاستيلاء على بعض المدن او اسبانيا كلها لو تيسر له الامر والدليل انه حشد جيشاً ضخماً وهاجم بلاد البشكنس التي كان معظم سكانها من المسيحيين اذن دوافعه لم تكن دينية . وهناك من المؤرخين من يرى بأن مشروع شارلمان مؤامرة دولية واسعة شارك فيها الخليفة العباسي (محمد المهدي) وذلك بأتصاله مع احد المتمردين وهو عبد الرحمن بن حبيب الصقلبي . ولايوجد دليل قوي على ذلك في المصادر العربية كما ان العباسيين كانوا مشغولين بمشاكلهم السياسية بالاضافة الى بعدهم عن الاندلس ، قد يكون الصقلبي عمل تحت ستار الخلافة العباسية ليحمل الناس على الالتفاف حوله ليس الا. وهذا طبعاً دون علم الخليفة العباسي .

قام شارلمان بالتوجه الى اسبانيا لتنفيذ الاتفاق لكنه عندما وصل اللى سرقسطة رفض يحيى الاستمرار بالمؤامرة وأُغلقت ابواب المدينة التي قصدها شارلمان للاستيلاء عليها الا ان الاضطرابات التي وقعت في بلاده اضطرته الى فك الحصار والرجوع الى فرنسا وفي طريق العودة هاجمته قوة مؤلفة من البشكنس ودمرت مؤخرة جيشه . وبعد فشل شارلمان فقد تخلى عن سياسته العدوانية ولجأ الى سياسة الدفاع عن الحصون على الحدود كما ان مشاكله الداخلية اضطرته الى مهادنة عبد الرحمن .

(ب) غارات النورمان على الاندلس :- النورمان او الفايكنج من الامم العريقة التي تسكن في البلاد الاسكندنافية أي السويد والدنمارك والنرويج وقد عرف هؤلاء في المصادر العربية بأسماء عدة مثل المجوس الاردمانيون وقد هاجم النورمان سواحل الاندلس عام (٢٢٩هـ -٨٤٤ م) في عهد عب الرحمن الثاني متوجهين الى مدينة اشبونة والتحموا

مع المسلمين في عدة معارك وقد كتب عبد الرحمن الى عمال الثغور يوصيهم بالاحتراس الا ان النورمان وجهوا ضربة اخرى الى سواحل الاندلس الغربية فدخلوا مصب نهرالوادي الكبير حتى ادركوا مدينة اشبيلية وسيطروا عليها

لعدة ايام فعاثوا فيها وارتكبوا ابشع جرائم القتل واسلب واشعلوا النارفي مسجدها وقد واجه الاميرعبد الرحمن هذا الخطر بأتخاذ اجراءات سريعة بتشكيل فرق برية لمطاردة الغزاة والحيلولة دون تقدمهم في البلاد مع قطع الطريق عليهم ومنعهم من الرجوع الى مراكبهم وبذلك تكبد النورمان خسئر جسيمة .وقد كان لهذا الهجوم نتائج مهمة :-

اذ نبه الى ضرورة الاهتمام بالبحرية الاندلسية واقامة المراكز الدفاعية على السواحل الغربية فشرع عبد الرحمن

١- ببناء سور حول مدينة اشبيلية ليقيها من أي هجوم مباغت .

٢- بناء دار لصناعة السفن الحربية في ميناء المدينة .

٣-استخدام رجال متمرسين في حماية السواحل البحرية وتزويدهم بالاموال والالات التي استخدم فيها النفط .

٤- القيام بعمل دبلوماسي لابعاد خطر النورمان واجراء اتصالات مع ملك الدنمارك لاحلال السلام بين الطرفين .

الان هذا الاتفاق كان مرحلياً اذ عاود النورمان هجومهم على الاندلس في عام ٢٤٥هـ و٢٤٧هـ الا انهم فشلوا في كلا الهجومين ويعود الفضل في ذلك الى جهود الامير عبد الرحمن الثاني التي كانت قد اينعت في عهد ولده محمد .

نشوء الامارات الاسبانية وعلاقة الدولة العربية الاسلامية في الاندلس معها :-

تجمعت فلول الاسبان المنهزمة بعد الفتح العربي لاسبانيا في مناطق الشمال الاسباني في جهتين ، الاولى : في هضاب كنتبرية (نافار وبسكونية) في الشمال الشرقي ، والثانية : في هضاب اشتوريش في منطقة جليقية في الشمال الغربي . وقد تزعم الجماعة الاولى شخص يدعى الدوق بطره او بتروس وهو ينتمي الى احد الاصول الملكية . ولكن امارة كنتبرية التي انشأها بتروس كانت قليلة الخطر والاهمية وذلك لموقعها في الطرف الغربي من جبال البرت في سهول نافار وبسكونية ولهذا فقد كانت عرضة لاقتحام القوات الاسلامية في ذهابها وايابها الى جنوب فرنسا . اما امارة جليقية او اشتوريش فقد كانت اعظم خطراً من امارة كنتبريه لانها تقع في مناطق وعرة بعيدة عن طريق غزوات الفاتحين وتدعى المنطقة التي اعتصم فيها المتمردون (كوفادونجا) او الصخرة تقع في سلسلة جبال كنتبريه المنيعة وكان من اهم العوامل التي ساعدت على نشوء امارة شتوريش (جليقية) هو انشغال المسلمين بعوامل الفرقة والخلاف خاصة بعد تمرد البربر بالاندلس مما ساعد الاسبان على الاستيلاء على المناطق التي تركها البربر وقد حاول بعض ولاة الاندلس التصدي لهذه الامارات لكنهم فشلوا نظراً

لوعورة المنطقة كما حدث في عهد الوالي (عنبسة بن سحيم الكلبي) حيث هُزم المسلمون في معركة

(كوفادونجا او الصخرة) عام (١٠٤هـ) وتعتبر الروايات المسيحية هذه المعركة بداية لحروب الاسترداد المسيحية .

ادى زواج الفونسو ابن بطره من ابنة بلايو (ارمسندا) الى اتحاد مملكتين كنتبريه واشتوريش واصبح الفونسو ملكاً على المملكة المتحدة التي عرفت بأسم (مملكة ليون) ولقب ملكها بـ (الفونسو الاول) الملقب بالكاثوليكي الذي اعتبر مؤسسها الحقيقي اما اهم العوامل التي ساعدت الفونسو على تقوية وتوسيع المملكة هي :

١- تمرد البربر ونزوحهم من المناطق التي كانوا يسيطرون عليها في اشتوريش وجليقية وكنتبريه.
٢- هجرة الكثير من العرب المستقرين في تلك النواحي نتيجة الفتنة بينهم وبين البربر .
٣- القحط الذي حل بالاندلس منذ سنة (١٣٣هـ /٧٥٠ م) واستمر لعدة سنوات فجلا الكثير من الانحاء مخلفين منطقة واسعة تفصل بينهم وبين جليقية واراضي المسلمين مما اتاح للاسبان سكن هذه المناطق . وقد اصبحت امارة (ليون) في مستهل تأسيس الامارة الاموية تشغل نحو ربع شبه الجزيرة الايبيرية .

وقامت الى جانب مملكة ليون امارة او مملكة اسبانية اخرى ، هي مملكة نافار او نبارة في منطقة الجنوب الغربي من جبال البرت في بلاد الباسك او البشكنس الجبلية وكانت هذه الامارة في اول امرها تخضع الى سلطة بعض النبلاء التابعين للفرنج او لامراء كانتبرية واشتوريش الذين اتخذوا مدينة بنبلونة عاصمة لهم . ولم يستطع امراء جليقية رغم الغزوات العديدة التي شنوها على هذه الامارة ، ان يضموها الى مملكتهم وذلك لتفاني البشكنس في الدفاع عن استقلالهم . ويعتبر شانجة غرسيه الاول المؤسس الحقيقي لهذه المملكة ،والذي لقب بلقب ملك من امراء هذه المملكة .

نافار في الشرق .وكانت هذه المناطق تسمى (بردوليا) وبالاضافة الى مملكتي ليون ونافار ،قامت مملكة اخرى في شمال اسبانيا وذلك في الاراضي التي تقع بين مملكة ليون في الغرب ، ومملكة ثم سميت فيما بعد باسم قشتالة لكثرة الحصون التي كانت تقوم بها . وا صل هذه الحصون والقلاع يعود الى جهود مملكة ليون التي اقامتها واحاطت نفسها بها للحماية من هجمات المسلمين . وعرفت هذه الحصون في المصادر في المصادر العربية بأسم القلاع ، كما سميت ايضاً نسبة الى ولاية البة باسم البة والقلاع . وكان سكان هذه المناطق من البشكنس واهل البة يُحكمون من قبل امراء تابعين لمملكة ليون ، ولكنهم كانوا يتمتعون بشيئ من الاستقلال الذاتي ليتمكنوا من محاربة المسلمين . اما عاصمة المنطقة فكانت يومئذ في مدينة برغش . وقد حاول هؤلاء الامراء جهدهم للمحافظة على هذا الاستقلال الذاتي ، بل التحرر من سلطة مملكة ليون وقد سنحت لهم هذه الفرصة حينما اتحدت معظم القلاع في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي بزعامة الكونت فرنان كونثالث كان كونثالث زعيماً قوياً ضد خصومه ملوك ليون ، فأعلن الحرب على راميرو الثاني ملك ليون . وعلى الرغم من هزيمته واسره من قبل الملك ، ظل انصاره من سكان القلاع مخلصين لزعيمهم المأسور واستمروا بالثورة ، مما اضطر راميروا الثاني الى اطلاق صراحه . فعمل كونثالث على توطيد مركزه وتوحيد كل قشتالة تحت لوائه . وقد استطاع ان يحقق هذه الغاية ويجعل الملك وراثياً في ابنائه في امارة قشتاله المستقلة عن مملكة ليون .ثم اخذت هذه الامارة تتسع شيئاً فشيئاً على حساب اراضي المسلمين والمسيحيين السواء حتى سيطرت على كل اسبانيا فيما بعد وصارت لغتها القشتالية هي اللغة الاسبانية الرسمية في البلاد .

لقد العلاقات بين هذه الامارات الاسبانية الثلاث ، وغيرها من الامارات الصغيرة الاخرى مثل امارة برشلونة التي كونت نواة لامارة قطالونيا فيما بعد والتي دمجت في مملكة اراغون عام ٥٣٢هـ /١١٣٧م تتذبذب بين السلم والحرب حسب مصالح واهتمامات حكامها ومطامعهم . فحينما تكون هناك منفعة مشتركة للجميع يحصل التقارب بين هذه لمواجهة المسلمين في الاندلس في الاندلس ولكن تضارب المصالح والنزاع على السلطة بين افراد الاسر الحاكمة او ثورات النبلاء ومحاولاتهم للاستقلال كانت تدفع بعض هؤلاء الامراء الاسبان لطلب العون من الامراء الامويين في قرطبة يضاف الى ذلك فأن سوء الاحوال الداخلية كثيراً ماكانت تفرض على حكام الامارات الاسبانية عقد السلم والمهادنة مع الدولة العربية الاسلامية . لكنهم اذا ماشعروا بالقوة او بأنشغال المسلمين في مشكلة داخلية ، لايترددون في نقض عهودهم ، وغزو الاراضي التابعة الى الاندلس . ويمكن القول اجمالاً ان علاقات هذه الامارات مع الدول العربية الاسلامية ، ومواطنيها كانت تشمل الى جانب الحروب وما يعقبها من مآسي ونكبات بالنسبة الى الطرفين اموراً اخرى تبرز في اوقات السلم والصفاء ، كالمراسلات الدبلوماسية وعلاقات المصاهرة وانتقال التأثير الحضاري المشترك بين هذه الامارات الاسبانية ومواطني الدولة العربية الاسلامية في الاندلس .

" عصر الخلافة "

تولية عبد الرحمن الناصر :-

بعد وفاة الامير عبدالله سنة (٣٠٠هـ -٩١٢م) تولى حفيده عبد الرحمن بن محمد الامارة دون اعمامه واعمام ابيه الذين كانوا احق منه وذلك لعدة اسباب : -

١- شخصية الامير التي تميزت عن غيره اذ كان نمطاً فريداً من الرجال توازن بناءوه الذاتي والفكري مع درجة تعقيد الفترة التأريخية التي عاصرها . فضلاً عن ذلك فأن بعض الروايات تؤكد ان جده قد ولاه ولاية عهده من بعده .

٢- طبيعة الدولة الاموية في هذه الفترة اذ كانت في وضع عجزت فيه عن ردع المغيرين على العاصمة (قرطبة) نفسها مع ازدياد الاخطار الداخلية والخارجية التي اصبحت تهدد سيادة الدولة كل هذه الامور لم تجعل الامارة مطمعاً للباحثين عن السلطة بل ان ابناء البيت الاموي كانوا تواقين لمساندة كل شخصية يتوسمون فيها الخصال التي تعيد للدولة مكانتها . ولذلك فقد بويع عبد الرحمن الثالث من قبل الخاصة والعامة بالاجماع . الا اولئك المتمردين على السلطة .

اعلن عبدالرحمن الناصر في بداية توليه عن سياسته لتحقيق الوحدة الوطنية من خلال منشور كان موجه بالرجة الاولى للعناصر المناوئة للدولة وهو :-

١- التأكيد على التسامح واسقاط كافة الجرائم بحق الدولة واعادة كافة الحقوق المشروعة في حالة اعلان الولاء للسلطة المركزية .

٢- الوعيد والانذار للمتمردين العابثين بأمن البلاد والمتحالفين مع القوى الاجنبية من جانب آخر .

عمد الامير الى :-

١- اصلاح الادارة بما يتوازن ومتطلبات المرحلة .

٢- الاهتمام بالقوات العسكرية .

٣- محاولة كسب العديد من زعماء المتمردين والخارجين واستخدامهم في ضرب القوى التي ظلت على تمردها وعنادها .

قبل الاسترسال بالحديث عن تفاصيل الاحداث لابد من الاشارة الى اهم اسباب انفراط الوحدة الوطنية في بلاد الاندلس في تلك الفترة :-

١- غياب القائد في مرحلة شكلت فيها عوامل الخلل عنصراً ظل يفعل فعله حتى اتى على وحدة البلاد . فظهر المتمردون في مناطقهم ينافسون الامير في سلطته وكان من اهم اسباب ذلك الخلل هي العناصر التي تكون منها المجتمع من عرب وبربر ومولدين ومستعربين اذ لم يتمكن الامراء منذ عام (٢٣٨هـ وحتى ٣٠٠هـ) من القضاء على التمردات التي قامت ضد السلطة المركزية حتى آلت البلاد الى عصر دويلات المدن واصبحت سلطة الامير مقتصرة على العاصمة قرطبة فقط .

٢- وعورة بعض المناطق وحصانة قلاعها اعطى الفرصة للمتمردين للاعتصام بها عند الحاجة .

٣- الاستعانة بأمراء وملوك الممالك النصرانية الذين وجدوا فرصتهم في مساعدة المتمردين لاضعاف الحكومة المركزية .

٤- عدم الاكتراث بسلطة الدولة المركزية لكون معظم الزعماء المحليين ينتمون الى اصول عريقة عربية او قوطية .

أهم الاعمال العسكرية

بدأت الاعمال العسكرية بأرسال حملتين بقيادة احد وزراء عبد الرحمن لتطهير قلعة رباح واسترداد مدينة (استجة) من ايدي اتباع ابن حفصون . بعد ذلك بدأ الامير بقيادة الجيوش بنفسه بهدف رفع معنوياتهم وأ ثارة الفزع لدى اعدائه وعرفت هذه الحملة او الغزوة بـ (غزوة المنتلون) وهي اولى الحملات التي قادها الامير بنفسه استغرقت (٣اشهر) من عام (٣٠٠هـ) كان من اهم نتائجها تحرير اكثر من (٧٠) حصن من اهم الحصون سوى مايلحق بهذه الحصون وماحرر بتحريرها من الاماكن والابراج والقصبات والتي تقارب الـ (٣٠٠) الان هذه الحملة لم تستطع القضاء على زعيم المتمردين (عمر بن حفصون) في بربشتر .

لم تمض اشهر قليلة حتى عاد المتمردون الى سيرتهم الاولى يعدون العدة للثأر من قوات الامير يساعدهم في ذلك زعماء المدن والاقاليم الذين رأوا في الامير مايهدد كيانهم . ففي اشبيلية قام (بنو الحجاج) الذين استقلوا بحكم المدينة الا ان اختلاف المتنازعين على السلطة من بني الحجاج ساعد الامير في استرداد هذه المدينة بعد جردت العناصر القوية فيها من سلطاتها . وبالرغم من كل النجاحات التي حققها عبد الرحمن الا انه كان يدرك ان المدخل لتحقيق وحدة البلاد يكمن بالقضاء على زعيم العصاة عمربن حفصون الذي يسيطر على مناطق واسعة من البلاد وكان الخطر الذي شكله هذا المتمرد لايكمن فقط بطول مدته بل بتهديداته المستمرة لسلطة الامراء الامويين وبطموح ابن حفصون لنيل امارة الاندلس وبتعصب المولدين والمستعربين له ولذلك فأن نجاحه يشكل تغييراً في جنسية الحكم (لانه كان من المولدين) ودين الحاكمين لانه تحول في اواخر ايامه الى المسيحية . بالاضافة الى ذلك فقد كان ابن حفصون بمثابة الروح التي تنفث في جسد العصاة الاخرين الذين كانوا يرتبطون به بشكل او بآخر بقصد اضعاف السلطة المركزية في البلاد .

قاد الامير عبدالرحمن قواته سنة (٣٠١هـ) مخترقاً اكثر الاقاليم حيوية بالنسبة لابن حفصون واستطاعت قوات الامير من تدمير القوة الرئيسية للعصاة واجبرتهم على الارتداد الى الغرب واستمرار العمليات العسكرية في اتجاهات مختلفة تلاحق التمردين الى ان اجبرت زعيم المتمردين ابن حفصون للاستسلام بعد ثلاثين عاماً من التمرد والعصيان مقابل كتاب عهد له وللحصون التي كانت تحت سيطرته وتم ذلك في (٣٠٣هـ) اما ابناء ابن حفصون فقد كانوا يحكمون مدناً وحصون بتفويض من والدهم وبقرار من الامير عبد الرحمن فكان جعفر في قلعة ببشتر نيابة عن والدة ،وعبدالرحمن في حصن طرش . وسليمان في مدينة آبدة ثم حصن اشتبين ولم يطل العهد بجعفر فقتل سنة (٣٠٨هـ) على يد جماعة من انصاره الذين ولوا سليمان مكانه ولكن سليمان مالبث ان غلبه الغرور فمارس دور ابيه في مقارعة السلطة المركزية معتمداً على حصانة مدينة ببشترفقضي عليه سنة (٣١٤هـ) واستسلم اخوه حفص في سنة (٣١٥هـ) بعد ان اجتاحت قوات الدولة القلعة ومايحيط بها من مواقع حصينة بقيت مايقارب خمسين سنة مثل جدارحديدي تتكسر عليه محاولات السلطة العديدة كذلك لم يغفل الامير عبد الرحمن امر الخارجين في انحاء اخرى

من الاندلس كبني ذنون في الثغر الاعلى والمتمردين في كورة تدمير وطليطلة وشاطبة وغيرها من المدن والحصون .

اتخاذ القاب الخلافة (٣١٦هـ - ٩٢٩م) :-

رغم قيام الامارة الاموية في الاندلس منذ عام (١٣٨هـ - ٧٥٦م) فأن الامراء الامويين لم يفكروا بمنافسة الدولة العباسية في القاب الخلافة لعدة اسباب :-

١- ان الخلافة تراث لاهل البيت وان الامويين في الاندلس يدركون قصورهم عن دلك .

٢- انهم يرون ان الخلافة تكون لمن يملك الحرمين

٣- الا ان السبب الاساس يعود الى البواث السياسية التي دفعت الخلفاء الامويين لان يكونوا متحوطين من اثارة الفتنة والخلافات الدينية والمذهبية في العالم الاسلامي .

اما الاسباب التي دفعت عبد الرحمن الناصر الى اتخاذ لقب الخلافة عام (٣١٦هـ - ٩٢٩م)

فهي :-

١- استعادة الوحدة الوطنية بعد (١٦) عاماً من النضال الصعب فلم يعد لقب الامير يستوعب طموحات عبد الرحمن خاصة بعد ان زالت حرمة هذا اللقب وتلقب به معظم الخارجين عن حكومة قرطبة منافسة للحكم الشرعي للبلاد .

٢- ضعف الخلافة العباسية وتحكم العناصر الاجنبية بمقدراتها .

٣- ظهور الدولة الفاطمية في المغرب العربي وسيطرتها على مناطق واسعة منه واعلانها الخلافة اذ راى عبد الرحمن اي بالنه احق بلقب الخليفة من دولة منحلة (العباسية) وأُخرى طارئة (الفاطمية)

٤- لقب خليفة يهيئ للعاصمة قرطبة دوراً اكثر مركزية يمكنها من القبض على اطراف الدولة وقمع اي تحرك انفصال بالسرعة القصوى .

٥- قيل ان الاندلس هم الذين منحوا اميرهم لقب خليفة تقديراً لجهوده في توحيد البلاد وبعد ان تيقنوا من ضعف خلافة بني العباس وبطلا ن دعوى الفاطميين بالنسبة لهم .

مواجهة الاخطار الخارجية في عهد عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) :-

الاندلس والممالك النصرانية :-

افادت الممالك الاسبانية من حالة انفراط عرى الوحدة الوطنية وتوغلت في الاراضي الاندلسية وكانت كل من مملكتي جليقية والنافار قد تحالفتا في سبيل القضاء على الدولة العربية . في بداية عصر الناصر اغارت قوات (اردونيو الثاني) ملك ليون على مدينة يابرة سنة (٣٠١هـ) واستطاعت ان تهزم حاميتها وتقوم بتخريبها وفي سنة (٣٠٣هـ) عاودت قوات اردونيو فهاجمت غرب الاندلس (مدينة ماردة) حيث استولى على عدد من الحصون في طريقة اليها ولم تنج مدينة مدينة ماردة من قواته الابعد ان دفع اهلها مبلغ من المال . في الوقت نفسه كانت قوات(شانجه بن غرسيه) ملك النافار يهاجم مدينة طليطلة ويخربها .

ورداً على هذه الهجمات قامت اقوات الاندلسية سنة (٣٠٤هـ) بتجهيز حملة يقودها احمدبن محمد بن ابي عبدة هدفها استكشاف مناطق العدو وتحديد اماكن وجوده ومكامن قواته ، وتدمير بعض الحصون . ثم عادت هذه الحملة في السنة التالية لاحتلال حصن (شنت اشتبين) احد هم الحصون الذي اقامته مملكة ليون فبي الجهة اليمنى من نهر الدويرة . الا ان القوات العربية هُزمت بسبب تراجع بعض المتخاذلين واشتشهد القائد ابن ابي عبده نفسه في حين شجعت هذه الهزيمة كلاً من (اردونيو)و (شانجه) على محاصرة بعض المدن وتخريبها ونهبها .

وقد خلقت هذه العمليات قلقاً لدى عبد الرحمن جعله يجري تعديلات في خططه العسكرية فقام بقيادة حملة عسكرية في عام (٣٠٨هـ -٩٢م) لتوجيه ضربة انتقامية لمملكة ليون واستطاع ان يدحر في طريقه مدناً وحصوناً عديدة كما استطاع دحر اعدائه في مكان يسمى خونكير .

وكان من اهم نتائج حملة عبد الرحمن :-

١- كبح جماح قوات اردونيو خاصة بعد ان اصبحت الجبهة الداخلية في الاندلس قوية بعد ان تمكن الناصر من فرض سلطته على اهم معاقل التمرد .

٢- صار لدى الناصر القدرة على ردع واحباط اعدائه ، مهما يكن من امر منذ عام (٣١٣هـ) دخلت مملكة ليون في صراع جديد على السلطة شغلتها عن الاندلس لمدة (٧) سنوات استطاع الناصر خلالها تصفية اطراف التمرد في الداخل وتثبيت اركان الدولة فتم القضاء نهائياً على قوات

(راميرو الثاني) الذي اعتلى العرش في سنة (٣٢٠هـ) حيث استمرت المناوشات بين الطرفين تتراوح بين النصر والهزيمة الى ان قرر (الناصر) خوض غمار المعركة الحاسمة وقد قاد جيشه بنفسه متوغلاً في اراضي الاعداء الا ان جيشه هُزم بالقرب من (سيمانقه) سنة (٣٢٧هـ - ٩٣٩م) وقد سميت هذه الواقعة بـ (واقعة الخندق) التي كان من اهم اسبابها هزيمة العرب فيها :-

١- فقدان الوحدة بين صفوف الجيش العربي الذي حشر حشراً مكرهاً غير مخير وتعيين (نجدة بن الحسين الصقلبي) قائداً اعلى له عامل مضاف ولد نوعاً من التذمر ائر تأثيراً سلبياً على معنويات بعض فرقه .

٢- لم يكن ميدان المعركة في صالح القوات العربية ولم يسمح لها بالمناورة الكافية عند الضرورة لذا حسمت المعركة مع اول ارتداد اصاب بعض فرق هذه القوات ولم يتمكن الناصر من معالجة الموقف بعد مقتل نجدة الصقلبي ، وابعاد قواته المتراجعة بدون نظام الى الخندق الذي اصبح مقبرة حقيقية لمعظم قواته المترتدة . مهما يكن من امر ، لم تكن هذه المعركة الاخيرة لقوات الناصر بل انها كانت مجرد معركة خسرها جيشه وخاض من بعدها معارك حقق فيها انتصارات كبيرة .

الاندلس والدولة الفاطمية

اتسمت العلاقة بين الاندلس والفاطميين في المغرب بالعداء الشديد وحاول كل منهما التوسع على حساب الآخر واعتمد الطرفان اساليب مختلفة للاخلال بأمن الطرف الآخر والتي تراوحت بين الحرب الباردة وارسال الجواسيس لاقتناص المعلومات واستخدام القوة وتناطح اساطيل كلا الطرفين .

كان الفاطميون يتطلعون للسيطرة على كل المغرب الاسلامي وفصله عن السلطة العباسية بالسيطرة على مصر وبالرغم من انها لم تحقق اهداف ا ارسل الفاطميون جواسيسهم لجمع المعلومات عن القدرة العسكرية والاقتصادية لها ومعرفة مواطن الضعف والقوة فيها . وعلى الرغم من فشل الفاطميين في تحقيق النجاح الكافي لدعوتهم في الاندلس . الا انهم وجدوم يمتا انصاراً لهم بين المتمردين والخارجين على السلطة ممن والوا الفاطميين طمعاُ في المساعدات العسكرية ولم يمتنع الفاطميون من امدادهم مادام ذلك يؤدي الى استمرار الاضطرابات في الاندلس.

وقد واجه عبد الرحمن مخططات الدولة الفاطمية وافشال مؤامراتها بطرق عدة اهمها :-

١- اعلان الخلافة في الاندلس سنة ٣١٦هـ .

٢- كسب ولاء القبائل العربية وتحريضها للقيام ضد الدولة الفاطمية فقد تمكن من كسب زعماء زناتة وعلى راسهم زعيم قبيلة مغراوة الزناتية (محمد بن خزر) حيث كانت هذه القبائل في صراع دائم مع الفاطميين وحلفائهم قبائل صنهاجة وقد بايع ابن خزر الناصر عام ٣١٧هـ ودعى له من دون الفاطميين . كذلك اعترف الادارسة بخلافة الناصر بين(٣١٦ - ٣١٨هـ) وان كان موقفهم اي الادارسة يتراوح بين التأييد والانقلاب على الخلافتين حيث تتوافر لهم القوة والمنعة . اضافة الى ذلك ضمن الناصر الحماية للاجئين السياسيين افراداً وزعماء من امثال (ابن خزار المليلي) وغيره . كما ساند الناصر جميع الثورات القائمة في المغرب ضد الفاطميين مثل ثورة (ابو يزيد بن مخلد بن كيداد) التي استمرت لسنوات عديدة ولم يستطع الفاطميون اخمادها الا بعد الاستعانة بقبيلة صنهاجة .

٣- العمل على بناء قوة بحرية مهاجمة : اهتم الاندلسيون منذ عهد عبد الرحمن الاوسط بالقوة البحرية عندما تعرضت مدن الاندلس الساحلية الى هجمات النورمان . ومع بداية عصر الناصر وتزايد خطر الفاطميين اتخذ الامير جملة من الاجرءآت اهمها :-

أ- العمل بشكل سريع لمنافسة القوى الاخرى في البحر المتوسط .

ب- احكام السيطرة على المياه الاقليمية لاسيما منطقة منطقة جبل طارق والعمل على منع الامدادات التي كانت الدولة الفاطمية تمول بها المتمردين في الاندلس ومنهم عمر بن حفصون . حيث تمكن الاندلسيون لمرات عديدة من اغراق سفن الفاطميين او اسرها .

ج- مهاجمة المدن المغربية الساحلية والاستيلاء عليها اذ كانت تلك المدن قواعد للانطلاق في العمق المغربي وبمثابة حزام امان للسواحل الاندلسية المقابلة للمغرب . هكذا سدد الاندلسيون ضربات موجعة للفاطميين وهاجموا ممتلكاتهم في المغرب الاقصى . وعلى الرغم من رد الفاطميين على تلك الهجمات اذ هاجموا قاعدة الاسطول الاندلسي بالمرية سنة (٣٤٤هـ) واحرقوا جميع السفن الراسية فيه الا انهم لم يتمكنوا من اضعافه فعاد الاسطول الاندلسي من جديد لممارسة نشاطه وهاجم مرسى (الخزر) دون ان يتمكنوا من رده .

عصر الحكم المستنصر بالله :- (السياسة الخارجية)

تولى الحكم الخلافة سنة (٣٥٠هـ -٩٦١م) واعتمد الحكم سياسة والده في التعامل مع القوى الاجنبية . واعتمد الاسلوب في الحفاظ على مناطق نفوذ الدولة الاندلسية في المغرب . فبالنسبة للدولة الفاطمية ظلت العلاقة بينها وبين الاندلس عدائية قائمة على مبدأ المنافسة بين صنهاجة حلفاء الفاطميين وقبائل زناته حلفاء الامويين الى ان تمكنت صنهاجة من بسط نفوذها على جميع النصف الشرقي من المغرب في حين سيطر الزناتيون حافاء الامويون على القسم الغربي من المغرب وهكذا حدث نوع من التوازن بين القوتين في بلاد المغرب .

وبالنسبة للادارسة فلم تكن دولة مستقلة بالمعنى المعروف بل كانت تدور في فلك الاقوى من الفاطميين او الاندلس . فقد استطاع المستنصر هزيمة الادارسة بزعامة (الحسن بن كنون) الذي نقض بيعة المستنصر بعد انتصار الصنهاجيين حلفاء الفاطميين على قبائل زناتة حلفاء الامويين

اذ اعتقد الحسن ان ميزان القوى في المنطقة اصبح لصا لح الفاطميين الا ان مجريات الاحداث فيما بعد اثبتت عكس ذلك اذ خاض الجيش الاندلسي ضد الادارسة سلسلة من المعارك كان آخرها سنة (٣٦٣هـ) حيث اسر الحسن بن كنون مع جماعة من الامراء الادارسة .

تعرضت الاندلس في عهد المستنصر – من جديد – الى هجمات السفن النورمانية سنة (٣٥٥هـ) فخرج اليهم المسلمون ودارت بينهم معارك استشهد فيها من المسلمين وقتل فيها من الكافرين كما اشتبك اسطول اشبيلية لمهاجمة الغزاة . كانت المناطق الغربية من سواحل الاندلس هي التي تتعرض اكثر من غيرها لتلك الهجمات . وقد عاود النورمانيون هجومهم لتلك السواحل سنة (٣٦٠ هـ) لكنهم رُدوا دون تحقيق اهدافهم بسبب يقظة الاسطول الاندلسي .

اما سياسة الحكم المستنصر تجاه المماليك الاسبانية فأنها كانت تقوم على اساس احترام كل الاتفاقيات بين الطرفين الاان مثل هذه الاتفاقيات سرعان ماتُنقض من قبل الاسبان مع اول فرصة لهم لغزو الاراضي الاندلسية . وكمثال على ذلك مافعله سانشو ملك ليون الذي نقض عهده مع الدولة الاندلسية بمجرد وفاة اذ كان قد تعهد بتسليمه بعض الحصون ان هو ساعده في استرداد عرشه . وقد ادت مجريات الاحداث فيما بعد الى خوض المستنصر سلسلة من المعارك ضد الممالك الاسبانية التي تحالفت مع سانشو ضد الاندلس . لقد كان لهذه الحملات الفضل في تثبيت السيادة الاموية على جميع مناطق الحدود وثغورها وامنت الاندلس مدة من شر هجمات جيوش الممالك الاسبانية

كان من اهم مظاهر هذا العصر توافد السفارات على البلاط الاموي في قرطبة من قبل امراء الممالك الاسبانية لتعزيزعُرى الصداقة والسلام بين تلك الممالك والدولة الاسلامية في الاندلس . ومن هذه السفارات سفارة الامبراطورية البيزنطية في عام (٣٦٣هـ) كذلك وصلت سفارة امبراطور المانية (اوتو الثاني)التي كان هدفها تجديد علاقات الصداقة بين الدولتين .

<u>سيطرة الحاجب المنصور بن ابي عامر على السلطة</u>:-

توفي المستنصر سنة (٣٦٦هـ -٩٧٦هـ) وتولى ابنه هشام المؤيد الخلافة بعهد منه وكان عمره (١١)سنه على الرغم من وجود اخوته المؤهلين لمثل هذا المنصب وتوليه هشام سقطة كبيرة اقترفها الحكم بحق ولده والدولة معاً اذ فرضت وصاية ابن ابي عامر الاجبارية على (هشام المؤيد) ولم يكن له من سلطات الخلافة الا الاسم فقط اذ حكمت اسرة ابي عامر باسم الاسرة الاموية الى ان انتهت تلك الاسرة بمقتل عبد الرحمن بن ابي عامر (شنجول) وكان نهايتها ايذاناً. بنهاية الخلافة الاموية عام (٤٢٢هـ) عندما اعلن اهل قرطبة الغاء الخلافة والحكم الاموي

حرصت الشخصيات البارزة في الدولة مثل شخصية (جعفربن عثمان المصحفي)كبير الوزراء (ومحمد بن ابي عامر) ناظر الخاص (وغالب بن عبد الرحمن) قائدقوات الجبهة الشمالية على تنفيذ وصية المستنصر بتولية هشام ضماناً لمراكزهم في الدولة في حين نجد ان اتجاهاً آخر تزعمه الصقالبة كفائق وجؤذر سعى لتولية احد ابناء البيت الاموي وهو الامير(المغيرة بن عبد الرحمن الناصر) اخو الحكم المستنصر وقد كان المغيرة شخصية بارزة جديرة بمثل هذا المنصب . ولما كان الصقالبة قوة لايستهان بها فقد حرص مجلس الوصاية على اتخاذ اجراء سريع تم خلاله قتل الامير (المغيرة) خوفاً من قيام الصقالبة من الانقلاب على الخليفة الجديد . ولم يجد الصقالبة بداً من الرضوخ للامر لكنهم في الحقيقة كانوا يعدون لمؤامرة تعيد هيبتهم في البلاد ومع اكتشاف اول خيوطها سعى المصحفي الى التحوط من غدرهم فوضع زعمائهم تحت المراقبة وسرح اعداد كبيرة منهم من اخدمة والحقهم بخدمة (محمد بن ابي عامر) . وامر الباقين بالدخول والخروج من باب العامة . كما تم تصفية العناصر الخطرة منهم ونفي آخرين . كان القضاء على الصقالبة اول خطوة من خطوات ابن ابي عامر باتجاه السيطرة على السلطة فهو الذي اغرى المصحفي بنكبتهم ومن الحقهم بحاشيته كما استمال له بني برزال الذين كانوا ضمن حاشية المصحفي هكذا جرد ابن ابي عامر المصحفي من انصاره وحماته . خاصة وان المصحفي اثقلته مطالب هذه الفرق المالية مع ماعُرف عنه من بخل في حين بسط ابي عامر عليها الانفاق فأصبح

هؤلاء انصاراً مخلصين لتحقيق اهدافه بعد ذلك حاول ابن ابي عامر السيطرة على القوة العسكرية والتحالف مع القوى الاخرى التي لايستطيع بسط نفوذه عليها . فقاد ثلاث حملات في فترة وجيزه اولها سنة (٣٦٦هـ) ضد القشتاليين وقد برز دور ابن ابي عامر في تجميع القوات واعدادها التي تولى قيادتها بنفسه محققاً انتصارت كبيرة على قشتالة .

اما الحملة الثانية فكانت بلاشتراك مع غالب بن عبد الرحمن قائد الجبهة الشمالية ولقد حققت هذه الحملة ايضاً اهدافها بنجاح . كما استطاع ابن ابي عامر من كسب القائد غالب الى جانبه بعد ان عانى الاخير من لوم الصحفي له واتهامه بالتخاذل عند هجوم الاسبان على قلعة رباح . هكذا اصبح عالب حليفاً ونصيراً قوياً لابن ابي عامر في صراعه مع المصحفي . كانت نتيجة هذا التحالف والانتصارات قد ظهرت سريعاً وبتحريض من ابن ابي عامر عندما اقنع الخليفة بتنحية المصحفي من منصبه في حكم (قرطبة) وتوليتها لاحد اقرباء ابن ابي عامر . وعندما شعرالمصحفي بالمصير الذي ينتظره حاول كسب القائد غالب عن طريق المصاهرة ان ابن ابي عامر افسد عليه خطته وسارع هو لخطبة ابنة القائد غالب .

في الحملة الثالثة قادها ابن ابي عامر وصهره غالب استطاعت قواته من احتلال مدينة (شلمنقة) والمناطق المحيطة بها . وقد قام الخليفة بتكريم ابن ابي عامر وتلقيبه بذي الوزارتين ورفعت مرتبته الى مرتبة صاحب الحجابة التي كان يتولاها المصحفي مع القائد غالب ثم عزل المصحفي بعد ذلك وتم القبض عليه ولى ابنه وعدد من اقربائه واودعوا السجن . هكذا اصبح ابن ابي عامر الرجل الاول في الدولة لكنه في الوقت نفسه اتخذ اجراءات متتالية لتحصين نفسه ذلك انه كان يعلم ان الرجال الذين ساعدوه في الوصول الى تلك المكانة قد ينقلبون عليه في يوم من الايام لانهم انما ساعدوه نكاية بالصحفي لاايماناً بأفضليته . وقد سعى ابن ابي عامر الى زيادة الدعائم التي يعتمد عليها والذين عرفوا بالصنائع العامريين ، هكذا ماجعله يستأثر بالسلطان المطلق للرندلس ، ولم يبق امامابن ابي عامر الا القائد غالب (صهره) الذي كان يتمتع بنفوذ يضاهي نفوذ ابن ابي عامر (المنصور) لذلك قام بأستدعاء منافس له هو جعفر بن علي بن حمدون المعروف بـ (ابن الاندلسي) وجعله اميراً على جيش الحضرة ، مما اثار القائد (غالب) بعد ان فطن الى مايدبره العامري الذي دعاه لحضور وليمة على شرفه ليستوضح منه الامور ودار حديث بين الاثنين انتهى بان سل غالب سيفه في وجه العامري الذي نجى بأعجوبة ولحق بالعاصمة قرطبة ليجهز جيشاً ويهاجم غالب في مقره ، وكادت الدائرة تدور على جيش العامري لولا موت غالب بالسكته القلبية في ميدان المعركة مما ادى الى اختلال التوازن في جيشه وانتصار جيش ابن ابي عامر ، هكذا تخلص ابن ابي عامر من كل منافسيه في البلاد فاتخذ لقباً خلافياً هو المنصور ودعي له على

المنابر ، بعد ذلك دبر ابن ابي عامر حيله قتل فيها جعفر بن حمود ليتخلص من آخر الرجال الذين اخلصوا له في صراعه على السلطة .

سياسة المنصور ابن ابي عامر:-

١- السياسة الخارجية

(ا) سياسته مع الاسبان

تميزت سياسة المنصور مع الاسبان بطابع جهادي متميز ، فقد قاد مايقارب (٥٠) حملة واحدة في الصيف واٌ خرى في الشتاء من كل عام كانت جميعها تحت قيادته المباشرة . اما الطابع العام لسياسته الجهادية هي :-

١- اخذه لزمام المبادرة والهجوم على اعدائه اذ اضطر الاسبان الى تغيير استراتيجيتهم العسكرية من الهجوم والدفاع .

٢- وصل المنصور في عملياته العسكرية الى اراضي لم تطرقها الجيوش العربية من قبل وكان من نتائج ذلك ان شُلت حركة الاسبان بالتوغل او حتى التقرب من الحدود الدولية للدولة العربية .

اعتمد المنصور على قوات اعدت حسب النظام الذي اقره على بنية القوات العسكرية. فقد كانت الفرق العسكرية قبله تنضوي تحت لواء زعماء القبائل وتضم تلك الفرق ابناء وموالي كل قبيلة . ولكن منذ عصر الناصر لم يعد للعصبية القبلية مكانة وسط تنظيمات الجيش واكمل ابن ابي عامر مهمة الناصر اذ وزع الجند في مجموعات ضمن سرايا وفرق بغض النظر عن كل جندي وامر عليهم قائد يختاره . وكان تنظيم الجيش اشبه بالقوات النظامية في العصر الحديث . مع تقرير رواتب شهرية لكل منتظم في هذه القوات وحسب موقعة ومكانته وكان من نتائج هذا التنظيم سهولة تجميع القوات في وقت سريع ، اصبح الجند اكثر التزاماً وانضباطاً من ذي قبل كما ان نتائج هذا التنظيم تظهر جلية في الحملات التي قادها المنصور ومنها حملة عام (٣٧١هـ) ضد مملكة ليون التي ادت الى نتائج سلبية اصابت دولة ليون في الصميم وجعلتها تخضع خضوعاً تاماً للدولة العربية وتدفع الجزية اما الغزوة (٢٣) في سنة (٣٧٤هـ) فقد كان هدفها قاعدة امارة قطلونية والتي تم اجتياحها بنجاح كبير كما قاد المنصور حملات اخرى كان لها ابعد الاثر في اخضاع الممالك الاسبانية لمطالب وشروط المنصور .وفي سنة (٣٧٦هـ) عاود المنصور

الهجوم على مملكة ليون لأخلالهافي بعض الشروط المفروضة عليها واستهدف الهجوم مدناً عديدة منها العاصمة ليون ومدينة قلمرية التي تم احتلالها وتخريبها . وفي سنة (٣٧٨) احتل سمورة وليون وانهى كيان هذه المملكة ثم استعاد ملكها مركزه بعد سنتين وبعد ان وادع المنصور ووافق على تنفيذ جميع الشروط المفروضة على مملكته .

اما الغزوة الثامنة والاربعون في سنة (٣٨٧هـ) فهي حملة ذات هدفين : الاول ان جليقية كانت تشكل خط الدفاع لقوات ليون المنهزمة . والثاني ان جليقية كانت تضم مدينة من اشهر المدن الاسبانية واعلاها مكانة من الناحية الدينية ، تلك هي مدينة شنت ياقب . وقد استعد المنصور استعداداً عالياً فقسم قواته الى قسمين قوة الفرسان تحت قيادته ، والقسم الاخر ضم المشاة ومايلحق بهم حمل بحراً والتقت القوتان عند نهر الدويرة وبدات القوات الاندلسية زحفها فب اراضي جيليقية مطهرة مناطق ومدناً عديدة في الطريق الى الهدف شنت ياقب التي اشرفت عليها فالفتها خالية من القوات والسكان ، فدخلتها وغنمت ماتهيأ من غنائم المدينة وهدت جميع تحصيناتها ومبانيها باستثناء ضريح القديس يعقوب الذي تنسب اليه المدينة فقد امر المنصور باعماره ورعايته وفي طريق العودة استسلمت له عدة من مشهورة منها مدينة كرونيا ومدينة لاميجو .

<u>سياسة المنصور تجاه المغرب</u>

في عهد الحكم تم توسيع دائرة نفوذ الاندلس في المغرب مما بات يهدد نفوذ الفاطميين في المغرب لذلك حاولوا رد اعتبارهم واستعادة المناطق التي خسروها سابقاً فقاموا بمجموعة من العمليات العسكرية كان من نتائجها الانتصار على قبائل زناتة حلفاء الامويين واتساع دائرة نفوذ الفاطميين وحلفائهم لذلك قرر المنصور العمل بسرعة على استعادة مافقده في هذه البلاد ارسل المنصور قائده (جعفر بن علي المعروف بالاندلسي) على راس حملة استطاعت مهاجمة الصنهاجيين حلفاء الفاطميين واجبارهم على الارتداد عن المناطق الساحلية التي حاول الامويون دائماً حمايتها باعتبارها حزام امان للاندلس . الا ان الصنهاجيين بقيادة زعيمهم (بلكين بن زيري) هاجموا مناطق اخرى واستطاعوا السيطرة على المغرب ، واستطاع الاومويون استعادة نفوذهم من جديد واستطاع حليفهم (زيري بن عطية) زعيم الزناتيون ان يقطع الطريق على الصنهاجيين حلفاء الفاطميين عندما حاولوا استعادة نفوذهم في المغرب مرة اخرى . غير ان الفاطميين ارسلوا الى المغرب (الحسن بن كنون) لتعكير الامن على حكومة قرطبة في هذه المناطق ولكن قوات المنصور بن ابي عامر تمكنت من اجهاض هجومه . فيما تولى المغرب الوزير الحسن بن اخمد

بن عبد الودود السلمي واصبح زيري بن عطية – قائد الامويين – بمثابة المستشار في اموره وبعد وفاة الحسن انتقلت ولاية المغرب الى زيري الذي عرف بضبط الامور والسيطرة عليها وعلى الرغم من ان المنصور كافأ زيري على خدمته ومنحه لقب (وزير)غير ان زيري لم يقبل هذا اللقب لانه راى انه لايتناسب والخدمات التي قدمها للامويين في المغرب كان يطمح الى لقب الامارة . وكان للتطورات المفاجئة بين المنصور وزيري اثر في قلب العلاقات الودية بين الطرفين ودفع زعيم زناتة الى التمرد اوماقيل عن استخفافه بلقب الوزارة الذي منحته اياه حكومة قرطبة واذي وجد فيه تقليلاً من وزنه السياسي بوصفه اميراً ينتمي الى قبيلة كبيرة ، غير ان هذه المصادمة ان صح وقوعها بين المنصور وزيري ، لاتصلح ان تكون مقدمة ثورة شاملة ، تستقطب البربر لولم تكن لها ابعاد سياسية ورواسب تأريخية معروفة ، حدت به الى التمرد ضد الوصاية العامرية ، فقد شعر زيري بقوته من خلال القاعدة الشعبية التي التفت حوله من سواد قبائل البربر ، حيث استهواها دائماً الاستقلال بشؤونها السياسية والاقتصادية . هكذا اصبح زيري في نظر اتباعه قائد شعبي تجسد فيه امالهم وبدأ زيري بتنفيذ ماعزم عليه فأكتفى بذكر اسم الخليفة هشام وسقط اسم المنصور من الخطبة وطرد عماله من المغرب . واستطاع ان يحرز بعض الانتصارات على قوات المنصور الا ان القوات الاندلسية استطاعت استرداد المناطق التي سيطر عليها البربر وطاردت فلولهم الى العمق الصحراوي . وفي سنة (٣٩١هـ) عاد زيري الى ولائه وكاتب المنصور فعفا عنه وحسنت سيرته حتى وافاه الاجل في نفس السنة فخلفه ابنه الذي اعلن سياسة الولاء للمنصور وابنه من بعده .

العلاقات الدبلوماسية:-

ظلت العلاقات الودية بين الاندلس والامبراطورية البيزنطية وقد عاصر المنصور الامبراطور بازيل الذي يعد عصره الطويل من ازهى عصور هذه الامبراطورية ، كما استمرت العلاقة الودية

بين الاندلس والمانيا في عهد الامبراطور اوتو الثالث ، اما العلاقات مع امراء اسبانيا الشمالية فلم

تكن ترقى الى مستوى العلاقة الودية الا في ظروف عجزت معها هذه الممالك عن مقاومة جيوش المنصور . فقد تزوج الاخير من ابنة شانجة ملك نبرة العلاقات مع قشتالة فلم تكن علاقات ودية فقد لقي اثنين من ملوكها الذين عاصروا المنصور الكثير من الهزائم على يديه .

السياسة الداخلية

(أ) علاقة المنصور مع الخليفة هشام المؤيد :-

اذ استمر الحجر على الخليفة ومنعت تحركاته الابمعرفة المنصور وهي سياسة دأب عليها ابناء المنصور من بعده اذ ظل هشام رمزاً للخليفة تمارس بأسمه السلطات لاكتساب الشرعية . المنصور قد اختار مناسبات معينة لظهور الخليفة بموكبه المعروف من اجل الرد على الاشاعات التي كانت تبث عن سجن الخليفة بقصره وعدم السماح له بالظهور وسط العامة .

(ب) العلاقة مع الفقهاء :

حاول المنصور كسب رضى الفقهاء ربما كتعويض عن اغتصابه للسلطة ام نتيجة لثقافته الدينية على اشهر فقهاء عصره . مع ذلك فقد ظلت مسألة استبداده بالامور محوراً للخلاف بينه وبينهم غير ان ذلك الخلاف لم يصل الى حد القطيعة والصدام خاصة وان المنصور كان حريصاً على ان يضيف لاعماله نوعاً من الشرعية المدعمة بفتوى الفقهاء الذين على الرغم من عدم اقتناع بعضهم بأعماله الاانهم سايروه . ولكن عصره لم يخل من فقهاء حاولوا التصدي له كعبد الملك بن منذر البلوطي الذي دعا الى تولية عبد الرحمن بن عبيد الله الناصر وقد قام المنصور باعدامه الاان ذلك لم يثر ردود فعل سلبية لانه كان معتزلياً ولان اهل الاندلس كانوا يبغضون المعتزلة . ومن المنوئين لسياسة المنصور محمد بن اسحاق بن ابي عكرمة وقاضي الفقهاء محمد بن يبقى بن زرب . ولكن مهما يكن من امر فأن علاقة المنصور مع فقهاء عصره هي علاقة ود وانسجام حيث كان يقوم هناك توا زن في العلاقة بين الدولة ورجال الدين على العكس مما كان معروف من قبل فأما ان تسود كلمة الفقهاء كما حصل في عهد هشام الاول وعبد الرحمن الثاني والحكم المستنصر او ان يعيشوا في الظل كما في عهود الاقوياء من الحكام . هكذا فأن العامري كان الحاكم الوحيد الذي بنى علاقات متكافئة بينه وبين الفقهاء فلم يحاول تحجيم نفوذهم رغم سلطته من جهة ولم يفتح لهم اي نافذه للتدخل في الحكم من جهة اخرى .

(ج) اعاد المنصور تنظيم القوات المسلحة تنظيماً كفل له نتائج ايجابية داخلياً وخارجياً وتنظيماته تقوم على :

١- جعل القوات المسلحة وحدة نظامية متماسكة خاضعة لقيادة عليا .

٢- الغاء النظام القائم على اساس قبلي او عنصري .

٣- اصبح الجيش يتكون من فرق عديدة على راس كل فر قة قائد اعلى ينوب عنه عدد من القادة .

٤- لكل منتسب راتب شهري وتتكون القوات في عهد المنصور من صنفين من المشاة والفرسان .

(د) بناء مدينة الزاهرة :-

اقتفى المنصور خطى الخليفة الناصر عندما شرع ببناء مدينة الزاهرة سنة (٣٧٠هـ - ٩٧٩م) كان دافعه لبناء هذه المدينة هو تمجيد عصره بمنشآت مميزة دلالة على العزة والسلطان الواسع وهناك سبب آخر يذكره لنا ابن عذاري من ان المنصور اراد من بناء المدينة تأمين نفسه والابتعاد عن حساده واعدائه فأنتقل اليها المنصور مع حاسيته وخاصة من الحرس ونقل اليها خزينة الدولة ودواوينها واقطع ماحولها لكبار رجالات الدولة فأبتنوا القصور وعمروا المتنزهات . الا ان الزاهرة لم تعمر طويلاً فقد كان عمره رهيناً بعمر الدولة العامرية . فقد خُربت المدينة عقب مقتل عبد الرحمن بن النصور العامري .

تقييم لشخصية وعصر الحاجب المنصور

<u>خلفاء المنصور بن ابى عامر</u>:-

توفي المنصور عام (٣٩٢هـ) فخلفه ابن عبد الملك الملقب بالمظفر الذي سار على نهج ابيه في مركزية الحكم تجاه المغرب بشكل خاص اما العلاقة مع الاسبان فقد تراوحت بين الحرب والسلم المشوب بالحذر الا ان الظاهرة البارزة في عهده هو تناحر رجال الدولة للاستحواذ على السلطة في الوقت الذي كان فيه عبد الملك مشغول بامور اخرى . هذا ماجعل احد وزرائه وهو عيسى ابن سعيد الذي تمتع بسلطة واسعة في الدولة ان يسعى الى قلب نظام الحكم وخلع عبد الملك وتولية احد الامراء الامويين خليفة الا ان المؤامرة كُشفت واعدم مدبرها . استمر عبد الملك في منصبه الى ان توفي عام (٣٩٩هـ) فخلفه اخوه عبد الرحمن الملقب بـ (شنجول) ولم يكن عبد الرحمن الشخصية التي تملأ الفراغ الذي تركه اخوه . فقد افرط في ملازمة الخليفة هشام حتى لقبه بالمأمون مما اثار سخط الناس اذ لم يقدم عبد الرحمن عملاً يستحق عليه هذا اللقب فيما بعد اصدر

الخليفة قراراً بمنح ولاية العهد لعبد الرحمن مما اثار سخط المروانيون ومن والاهم فسعوا الى قلب نظام الحكم واستغلوا فرصة خروج (شنجول) لحرب قشتالة فثار محمدبن هشام حفيد عبد الرحمن وتلقب بالمهدي حيث اجبر الامير الخليفة هشام على التنازل عن العرش فاصبح المهدي هو الخليفة . وعندما سمع شنجول باخبار الانقلاب عادليعلن تنازله عن ولاية العهد ويدعوا الى لنصرة هشام المؤيد الا ان نداءاته جاءت متأخرة وتفرق عنه معظم جنده وانتهى امره بالاعدام . وبذلك ينتهي حكم العامريين بعد (٣) اشهر من تولي (شنجول) للسلطة .

اما اهم الاسباب التي ادت الى انهيار الدولة العامرية فهي :-

١- النظام التسلطي القاسي الذي فرضه الحاجب المنصور على الاندلس واستمراره في عهد ولديه من بعده .

٢- سوء سياسة شنجول وسعيه الى نيل الالقاب السلطانية واجبار الخليفة على اصدار المراسيم الخاصة بذلك .

٣- تجرؤ شنجول على اغتصاب ولاية العهد وكان لذلك اسوأ الوقع على قوم جُبلوا تقديس الخلافة وحقوقها الشرعية .

<u>سقوط الخلافة :-</u>

بتولي المهدي تعددت القوى التي كانت تتنازع على الخلافة فبالاضافة الى المهدي وانصاره من القرطبيين كان هناك صنائع الدولة العامرية من الصقالبة ومواليهم من المرتزقة البربر الذين تضخم عددهم في هذه الفترة ولم يستطع المهدي ان يسيطر على جميع هذه القوى بعد ان عرضوا امن البلاد الى الخطر بدأ المهدي عهده باضطهاد البربر واسائته الى زعمائهم مما شجع العامة على نهب ممتلكاتهم كما اجلا اعداد كبيرة من الصقالبة عن قرطبة فلجأوا الى شرق الاندلس واصابت اجراءآته الخليفة السابق (هشام المؤيد) الذي سجن ثم اصطنع قصة موته . كما سجن ولي عهده (سليمان بن هشام) وعدد من زعماء العرب وسرح حوالي (٧٠٠٠٠٠) جندي وقطع ارزاقهم فأصبح هؤلاء عنصر من عناصر التوتر . وامام هذه الاوضاع السيئة قام (هشام بن سليمان بن الناصر) بانقلاب واعلن نفسه خليفة وتلقب بـ (الرشيد) الاان مساندة القرطبيين للمهدي افشلت المحاولة وتم اعدام هشام وبعض اقربئه وعمت قرطبة حالة من الفوضى استهدفت جميع البربر دون تمييز مما حفزهم لتوحيد قواهم واختيار احد الامويين ليكون خليفة فأختاروا

(سليمان بن الحكم) الملقب بـ (المستعين) الذي اعان نفسه خليفة بعد دخوله قرطبة سنة (٤٠٠هـ/١٠٠٩م) . اما المهدي فقد حاول جمع انصاره والتفاوض مع امير برشلونة وأخيه لإمداده بالمرتزقة لقتل المستعين والتقى في مكان يدعى (عقبة البقر) فهزم المستتعين وانصاره من البربر ودخل المهدي قرطبة ليعلن نفسه خليفة للمرة الثانية الا انه استمر بملاحقة البربر ودارت معركة بين الطرفين انتهت بهزيمة المهدي . هذه الهزيمة كان لها اثاره السلبية على مكانته بالاضافة الى سوء سياسته واستمرار البربر بالاغارة على العاصمة مما دفع احد الفتيان وهو (واضح الصقلبي) الى التدبير لاغتياله واعادة الخليفة هشام المؤيد وهكذا استرد هشام الخلافة وهو في (٤٧) من عمره . الا ان (المستعين) وقواته من البربر رفضوا الولاء للسلطة الجديدة واستمروا بغاراتهم على العاصمة مما ارهقها واستنزف مواردها الاقتصادية ، مقابل ذلك رفض القرطبيون كل دعوة للصلح مما جعل واضح يفكر بالهرب الا ان امره اكتشف وتم اعدامه وفي اواخر شوال اجتاحت قوات المستعين قرطبة وقبض على الخليفة هشام وتم اعدامه واعلن المستعين خليفة للمرة الثانية . فقام بتنظيم امور الحكومة التي سادتها الفوضى في جميع نواحي الحياة وسيطر البربر كل المناطق الحساسة وراى سليمان ارضاءً لهم من جهة وابعاداً لهم عن قرطبة من جهة اخرى ان يقطعهم كور الاندلس .

وكانوا ست قبائل رئسية من بينهم بني حمود الذين تولوا امر(المغرب والجزيرة الخضراء) اول بلاد الاندلس وكانت تولية بني حمود سقطة حسبت على المستعين واذهبت دولته اذ طمح علي بن حمود لخلع المستعين وتولي الخلافة وذلك لعدة اسباب :-

١- زعمه بان هشام المؤيد عهد له بالخلافة واظهر كتاباً كان هشام قد ارسله له خلال فترة حصار قرطبة من قبل المستعين وعد ذلك الكتاب كافياً لاضفاء الشرعية لدعوته .

٢- تمزق وحدة البلاد وانتشار السلطة بين قوى متعددة بالاضافة الى كون ابن حمود ينتمي الى عائلة مشهورة ويقود قبيلة من اقوى القبائل البربرية وهي زناته .

٣- ثمة عامل مساعد هيأه له الخليفة المستعين عندما ولاه امر المغرب وولى اخاه الجزيرة الخضراء .

٤- كسب ود جميع القوى المتعاطفة مع هشام ومنهم الصقالبة ورئيسهم خيران العامري الذي كان يدعو لهشام المؤيد ويناهض المستعين ليلتقي الطرفان في معركة شديدة سنة (٤٠٧هـ / ١٠١٩م) خسرها المستعين وتم اعدامه لتبدأ سلسلة الخلفاء الحموديين الذين حكموا الاندلس من عام (٤٠٧هـ / ١٠١٩م) الى عام (٤١٤هـ /١٠٢٣م) حيث حكم ثلاثة من ابناء هذه الاسرة كان آخرهم القائم

بن حمود الذي حكم مرتان وانتهت في عهده خلافة هذه الاسرة لتنقل الخلافة مرة اخرى الى الامويين وكان اول خلفائهم عبد الرحمن بن عبدالله بن الناصر الملقب بـ (المستكفي بالله) حتى مقتله سنه (٤١٦هـ - ١٠٢٥م). ثم عادت الخلافة الى الاسرة الحمودية التي تولاها منهم يحيى بن حمود للمرة الثانية ثم افل نجم هذه الاسرة لتعود لبني امية مرة اخرى حتى مل الناس تلك الشخصيات وانتهى الامرفي سنة (٤٢٢هـ - ١٠٣١م) بعزل الخليفة هشام الثالث (المعتد بالله) واخر الخلفاء الامويين والغاء الخلافة نهائياً عن الاندلس بعد ان عجزت عن اقرار الامور وفرض سلطانها على العاصمة على قرطبة وعموم بلاد الاندلس ،عاشت البلاد بعد ذلك (٨٠) عاماً تشهد عصراً من التمزق والانحلال الى ولايات ومدن متخاصمة يسيطر على كل منها حاكم سابق او متغلب او زعيم اسرة . ويمكننا ان ندرج الاسباب التي ادت الى سقوط الخلافة الاموية بمايلي :-

١)غياب القائد والادارة القادرة على الحسم في الوقت المناسب ويمكننا اعتبار هذا السبب من الاسباب الاصلية لسقوط الخلافة وفيما عدا ذلك من الاسباب فلاحقة به ، فالقائد المطلوب في الاندلس نمط خاص من الرجال وبناء متكامل من العصامية والفروسية والنضرة الشمولية والسرعة في اتخاذ القرار ، اذ ان الاندلس في هذه الفترة كانت تحتاج الاندلس في هذه الفترة كانت تحتاج الى رجال قادرين على التفاعل مع الاحداث رجال من طراز عبد الرحمن الاول وعبد الرحمن الناصر .

٢) الفصل بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية : استمر الحاكم في الاندلس (امير او خليفة) يجمع بين السلطتين الروحية والزمنية الى ان سيطر الحاجب المنصور ثم ابناءه من بعده على مقاليد الامور فانتزعوا السلطة الزمنية لانفسهم وتركوا الخلافة مجرد رمز لامعنى له في الاصل وكان ذلك مقدمة النهاية للخلافة ولاسيما بعد ان اجبر(شنجول) الخليفة المؤيد على توليته العهد من بعده وهو امر هز الاندلس هزاً وقاد البلاد الى دوامة من الحروب للتسلبق على الخلافة .

٣) التركيبة الاجتماعية في الاندلس . كان اهل الاندلس يشكلون اخلاطاً متناحرة من العرب والبربر والمولدين والصقالبة والمستعربين (مسيحيين او يهود) وكان كل من هذه العناصر ميال الى السكن في بؤرات عمرانية خاصة فالعنصر الغالب في قرطبة من العرب والعنصر الغالب في اشبيلية وطليطلة من المولدين اما غرناطة وقرمونة ومالقة فالبربر وكان لذلك اثره في الميل الى الاستقلال والخروج على السلطة المركزية مما دفع هذه العناصر الى الثورة فكان لزاماً على الحاكم استخدام القوة في مواجهة هذه الثورات .

٤)الاستعانة بأمراء وملوك الممالك الاسبانية الشمالية مقابل التنازل عن كثير من الحصون والمدن المهمة اذ سيطر الاسبان بهذه الطريقة على مدن وحصون كانت تعتبر نقاط استراتيجية بالنسبة للجيوش العربية باتجاه الممالك الاسبانية .

الفصل السابع

عصر دويلات الطوائف

بعد سقوط الخلافة عام (٤٢٢هـ) انقسمت البلاد الى دويلات صغيرة اطلق عليها المؤرخين سم (دويلات الطوائف) كان رؤسائها مابين زعيم قبيلة او صاحب نفوذ او وزير او شيخ قضاء او حاكم لاحد الكور . وقد عمل هؤلاء على تأسيس كيانات سياسية والحفاظ عليها في اسرهم وانقسمت الاندلس من الناحية الاقليمية الى عدة مناطق قامت فيها اهم دويلات الطوائف وهي :

١)اشبيلية ومايلحق بها من مناطق غرب الاندلس ، وقد حكم اشبيلية بنو عباد .

٢) قرطبة واحوازها من المدن والمناطق الوسطى ، وقد حكم قرطبة بنو جهور اذ اجتمع اهل قرطبة على تنصيب (ابي الحزم جهور بن محمد بن جهور) .

٣) بطليوس وقد حكمها بنو الافطس

٤) غرناطة سيطر عليها بنو مناد الصنهاجيون وكان زعيمهم زاوي بن زيري

٥) بلنسية ويلحق بها مناطق شرق الاندلس وقد حكم هذه المناطق الصقالبة فحكم بلنسية (مبارك ومظفر) العامريان بعد ان حكمها مجاهد العامري

٦) سرقسطة او الثغر الاندلسي الاوسط وهي من اكبر الدويلات القائمة من حيث المساحة فضلاً عن انها متاخمة لدول الممالك الاسبانية وتعد من اقدم الدويلات الاندلسية استقلالاً عن السلطة المركزية بسبب موقعها النائي في الشمال الشرقي للجزيرة الاندلسية كان يحتم عليها الذود عن وجودها ضد الاطماع الخارجية تولي حكمها بنو تجيب الذين انتهى حكمهم لها سنة (٤٣٠هـ)

بوفاة المنذر يحيى (معز الدولة) وليحكم من بعدهم بنو هودولم ينتهي حكمهم لها الابدخول المرابطين لها سنة (٥٠٣هـ) في عهد عبد الملك عماد الدولة بن هود .

٧) دانية وجزر البليار حكمها احد الفتيان الصقالبة وهو مجاهد العامري (احد موالي المنصور بن ابي عامر تقع هذه الجزر في البحر المتوسط تقابل السواحل الشرقية لشبه الجزيرة الايبيرية وهي ثلاث جزر ميورقة ، منورقة ، ويابسة .

٨) دويلة طليطلة قاعدة الثغر الاوسط حكمها بنو ذي النون وقد دخلت هذه الدويلة شأنها شأن الدويلات الاخرى التي قامت في عصر الطوائف في صراع مع غيرها من الدويلات كبني عباد وبني هود مما اضعف المملكة كل ذلك في سبيل التوسع على حساب الممالك الاخرى .

سنتناول تاريخ مملكتي قرطبة واشبيلية كنموذج لاحداث هذه الفترة :-

١- دويلة بني جهور في قرطبة :

خلع اهل قرطبة الخليفة هشام الثالث الملقب بالمعتد بالله في ذي الحجة سنة (٤٢٢هـ) ، والغوا الخلافة الاموية بعد ان يئسوا من صلاح امرها واجتمعوا على تنصيب الوزير ابي الحزم جهور بن محمد بن جهور رئيساً لحكومة قرطبة فاختار بدوره عده مجلساً عد بمثابة السلطة التشريعية العليا في المدينة وقد استطاع ابن جهور من خلال هذا المجلس ان يضع الجميع زعماء وافراداً امام مسؤولياتهم وواجباتهم فحمدت سياسته واستقرت الامور وتجنبت حكومته منافسة المنافسين وتمرد الطامعين حتى عرفت حكومته هذه بدولة الجماعة واصبحت قرطبة في عهده حرماً آمناً ياوي اليه امراء وزعماء الطوائف فيجدون فيه الملاذ الامين .

واستمرت حكومة الجماعة هذه برئاسة ابن جهور تدير امر قرطبة ومايتبعها قرابة اثنتي عشرة سنة ، سادت فيها السكينة والامن وبدات الحياة الاقتصادية في الانتعاش بعد ان امن التجار على اموالهم نتيجة القسوة التي فرضت على المتلاعبين بأمن المنطقة .

كان لابن جهور موقف خاص من اسطورة ظهور الخليفة هشام المؤيد بالله عندما اعلنها ابن عباد صاحب اشبيلية ، ذلك ان ابن عباد حينما احس بخطورة مطامع بني حمود في رئاسة حنوب الاندلس ، واتشاحهم بثوب الخلافة وحينما ارهقه يحيى بن علي بن حمود (المعتلي) بغاراته المتوالية ، راى ان يدحض دعاوى اولئك الحموديين ، فأعان في سنة (٤٢٧هـ) ان الخليفة هشام

المؤيد حي لم يمت ، واظهر بالفعل شخصاً يشبه هشاماً كل الشبه وبايعه بالخلافة ودعا الناس للدخول في طاعته وبعث بذلك الى رؤساء الاندلس فاستجاب بعضهم للدعوة وكان منهم عبد العزيز بن ابي عامر صاحب بلنسية ، ومجاهد العامري صاحب دانية والجزائر الشرقية ، والوزير ابي الحزم بن جهور رئيس قرطبة ، وعقدت البيعة في قرطبة بالفعل لهشام المؤيد والظاهر ان جهور لم يكن يؤمن حقاً بصحة هذه الدعوى ولكنه استجاب لها ، واقرها لنفس البواعث التي حملت ابن عباد على انتحالها، وهو العمل على دفع خطر الحموديين .

ظل ابن جهور على حكم قرطبة حتى وفاته سنة (٤٣٥هـ) فصار الامر الى ابنه ابي الوليد محمد بن جهور الذي اعتمد سياسة ابيه في تدبير امور قرطبة ولكن ابا الوليد اضطر نتيجة ظروف عديدة على الابتعاد عن ممارسة السلطات وقدم ولده عبد الملك ولكن المذكور لم يكن على مستوى من القدرة والسياسية بحيث يتمكن من ادارة جكومة قرطبة بالمستوى المطلوب فاهمل شؤون الدولة وسعى الى الالقاب السلطانية وفوض الى وزير ابيه ابراهيم بن يحيىبن السقاء مقاليد الامور وعلى الرغم من حسن تدبير الاخير الانه اعدم سنة (٤٥٥هـ) وعادت الامور المضطربة مرة اخرى وزادتها سوءاً منافسة عبدالرحمن لاخيه عبد الملك في السلطة ومحاولته السيطرة عليهادون اخيه ، مما اضطر ابو الوليد الى التدخل وتقسيم السلطات بين ولديه ، ففوض امر القوات المسلحة الى عبد الملك وفوض الامور المالية لعبد الرحمن ولكن هذا التقسيم لم يكن ليرضي عبد الملك فقبض على اخيه عبد الرحمن وفرض عليه الاقامة الجبرية مما ولد نوعاً من الاستياء وعدم الارتياح لسوء الاوضاع في الداخل وتلت ذلك اضطرابات شجعت صاحب طليطلة على التعرض لحصن المدور والاستيلاء عليه ثم الزحف الى قرطبة للاستيلاء عليها فاضطر عبد الملك الى الاستعانة ببني عباد وكانت تجمعه واياهم علاقات صداقة ومودة ولكن بني عباد الذين استطاعوا من تخليص قرطبة من حكام طليطلة عادوا واستولوا عليها سنة (٤٦٢هـ) وقبضوا على بني جهور ونفوهم الى جزيرة شلطيش وبذلك ينتهي حكم بني جهور لقرطبة بعد ان استمر قرابة الاربعين سنة .

دويلة اشبيلية (بنو عباد) : يرجع اصل بني عباد الى المنذر بن ماء السماء وجدهم عطاف بن نعيم هو الداخل الى الاندلس في طالعة بلج بن بشر القشيري وكان بنو عباد من الاسر التي لها في تاريخ العرب في الاندلس نصيب وافر فعميد اسرتهم اسماعيل بن عباد تقلب في مناصب الدولة

سنين عديدة آخرها قضاء اشبيلية . وقد تمكن من السيطرة على الامور في المدينة ابان الفتنة التي اصابت البلاد ، تلك السيطرة التي ارتضاها عموم اهل اشبيلية بفضل السياسة الحكيمة التي سار عليها حتى وصف بانه رجل الغرب المتصل الرئاسة وقت الجماعة ووقت الفتنة .

ان سياسة ابن عباد الرصينة جعلت له مكاناً مرموقاً عند بني حمود الذي كان ساطانهم يتردد بين العاصمة قرطبة وبين مدينة اشبيلية فعندما اعتزل اسماعيل بن عبا د مناصبه نتيجة كبر سنه ، قدم القاسم بن حمود الملقب بالمستعلي ابا القاسم محمد بن اسماعيل بن عباد وعينه في منصب القضاء غير ان الظروف التي مرت بها الدولة الحمودية وسلبيات الصراع بين افراد العائلة ، جعلت اهل اشبيلية يميليون الى الاستقلال بمدينتهم لذا فعندما غادر المستعلي اشبيلية ليتولى منصب الخلافة بقرطبة قرر الاشبيليون اعلان استقلالهم وخولوا ادارة المدينة مجلساً مكوناً من وجهائها وعلى راسهم محمد بن عباد ومعه ابو محمد مريم والعلم المشهور ابو عبدالله الزبيدي وبدا ابن عباد يمارس سلطاته باتجاه الاستقلال التام فمنع المستعلي من دخول اشبيلية عندما طرده اهل قرطبة وعندما وعندما تعرضت اشبيلية لمحاصرة قوات يحيى بن حمود سنة (٤١٤هـ) ، برز ابن عباد بوصفه مفاوضاً ذكياً ، فقد تمكن من رد قوات ابن حمود دون ان يعرض مركزه ومدينته الى اي ضعف او خطر فقد وعد ابن عباد الخليفة الحمودي بالدعوة له في الخطبة وتأدية مبلغ من المال لاثبات ولائه له . وكانت حركته هذه ضرورية قصد بها ابعاد خطر الحموديين ومن ثم استخلص مرسوماً مهماً من الخليفة الحمودي باقراره رئيساً ونائباً عنه في مدينة اشبيلية ومن هذا التاريخ بدا ابن عباد يسعى الى تأسيس ملك خاص بأسرته ، ويعمل على تجميع قوات مخلصة لاهدافه ، جعلها اداة ضاربة لتقليم نفوذ ملوك الطوائف المجاورين لاشبيلية والسعي الى مايمكن ضمه من مدن وحصون ومدن تلك الدويلات ولكي يبعد ابن عباد خطر الحموديين عن مناطق نفوذه نهائياً ويتحلل من تبعيته (الاسمية) لهم ، وليثبت شرعيته في الحكم ويسوغ الاعمال التوسعية التي قام بها ، اعلن في سنة (٤٢٦هـ) عنظهور هشام المؤيد واعلانه خليفة في اشبيلية ودعابقية حكام دويلات الطوائف للاعتراف به (وقد سبقت الاشارة الى اعتراف بني جهور بالخليفة هشام لاسباب ذكرت انفاً) معلى هذا الاساس يعد محمد بن عباد مؤسس دولة بني عباد الحقيقي ومنشئ ملكهم ورسوم مملكتهم وعلى يده اتخذ سلطان بني عباد الويته الملوكية المدعمة بالقوى العسكرية .

بعد وفاة محمد بن عباد آل الامر من بعده الى ولده ابي عمرو عباد بن محمد الملقب بـ (المعتضد) وقد بدا عصره بأجراءات قاسية اصابت العديد من الشخصيات البارزة ومنهم اعضاء مجلس الرئاسة الذي شكل في عهد والده ، واعتمد القوة في تحقيق اهدافه في الداخل والخارج فكان وزرائه وكبار رجال دولته يخشونه كما يخشاه منافسوه من حكام دويلات الطوائف . كانت سياسته الخارجية تقوم على ضرب دويلات الطوائف متى ماوجد لذلك فرصة سانحة تحقق له المزيد من ضم الاراضي الى دويلة اشبيلية . هكذا استطاع ابن عباد في نحو عشرين عاماً ان يقضي على سائر الدويلات القائمة في غرب الاندلس ، واصبحت دولته تشمل سائر الاراضي الممتدة من نهر الوادي الكبير غرباً حتى المحيط الاطلسي . وبذلك ضمت اشبيلية اظم ممالك الطوائف واغناها من حيث الموارد الطبيعية واقواها من حيث الطاقة الحربية ، ومع ذلك كانت تؤدي الجزية لملك قشتالة فرناندو الاول ولما توفي فرناندو الاول وخلفه ولده سانشو كان المعتضد يؤدي اليه الجزية اسوة بأبيه واستمر في تأديتها حتى وفاته .

توفي المعتضد سنة (٤٦١هـ/ ١٠٦٩م) وخلفه ولده ابو القاسم محمد بن عباد المعروف بالمعتمد وفي عهده تم ضم قرطبة الى دولة اشبيلية سنة (٤٦٢هـ) ودخل المعتمد في صراع عنيف مع دولة غرناطة واضطرت ضروف النزاع كلا الطرفين الى الاستعانة بملوك وامراء الممالك الاسبانية لقاء مبالغ كبيرة من الاموال وتنازلات اقليمية ايضاً . ففي الوقت الذي حاول فيه عبدالله بن بلقين حاكم التحالف مع ملك قشتالة الفونسو السادس ، نجد المعتمد يسلك المسلك نفسه ويرسل وزيره ابا بكربن عمار الى الفونسو طالباً المساعدة مقابل مبلغ كبير من المال ويمنيه بغزو غرناطة واقتسامها بحيث يكون للمعتمد قصبة المدينة وللفونسو القلعة الحمراء بما تحويه من نفائس وذخائر وكانت نتيجة هذا الحلف تعرض مدينة غرناطة الى هجمات مدمرة قام بها الفونسو السادس ، وجرات قواته على اقتراف المزيد من التخريب في العديد من ضواحي المدن الاندلسية . وقام بمهاجمة طليطلة في محرم سنة (٤٧٨هـ/١٠٨٥م) فدخلها غازياً دون ان تحرك دول الطوائف ساكناً .

ان سقوط طليطلة بيد الفونسو السادس وتطلعاته لغزو بقية المدن الاخرى دفعت العديد من حكام الطوائف وعلى راسهم ابن عباد الى الاستعانه بالمرابطين لنجدتهم ، ومع تحفظ بعض الحكام على قرار الاستدعاء فأن المعتمد عزم على تنفيذ قراره وتعهد بالتنازل عن الجزيرة الخضراء

للمرابطين ٥الذين نزلوها سنة (٤٧٩هـ /١٠٨٦م) ومع بداية هذا النزول بدأ المرابطون العمل على مقاومة الغزو الخارجي والانتصار عليه في اكثر من موقعة ، واعادة الوحدة السياسية الى البلاد والقضاء على دول الطوائف الواحدة تلو الاخرى ومنها دولة بني عباد التي سقطت في سنة (٤٨٤هـ/١٠٩١م) .

دويلة طليطلة (بنو ذي النون)

طليطلة من المدن المشهورة في تاريخ الاندلس ، كانت قاعدة الثغر الاوسط وبمثابة الحاجز امام قوات الممالك الاسبانية الشمالية ، وقد وقعت ومايلحق بها في حوزة بني ذي النون ، وقد تولى اسماعيل بن ذي النون حكم لاول مرة في سنة (٤٢٧هـ) . واعقبه في الحكم ولده يحيى في سنة (٤٣٥هـ) وتلقب بالمأمون ويمتاز عهده بكثرة الحروب والمنازعات بينه وبين حكام دويلات الطوائف كبني عباد وبني هود .، وكان نتيجة تلك الحروب المزيد من الخسائر في الارواح والمعدات وتدمير مدن وحصون الاطراف المتنازعة ، كل ذلك في سبيل الحصول على مكاسب اقليمية من هذه الدويلة او تلك في الوقت الذي سعى فيه كل طرف من اطراف النزاع الى التحالف مع امراء وملوك اسبانيا الشمالية مقابل التنازل عن بعض المناطق المهمة . ومماالاشك فيه فأن هذه الحروب والمحالفات ادت الى اضعاف هذه الدويلات حميعاً وان ظهرت الغلبة في فترات لبعضها نتيجة سيطرتها على مناطق واسعة من اراضي الغير .

ففي سنة (٤٥٧هـ) تمكن المأمون من السيطرة على بلنسية ، ودخلت قواته في سنة (٤٦٧هـ)مدينة قرطبة بعد ان قضت على حاميتها من بني حاميتها ودخل الطرفان بعد ذلك في سلسلة من المنازعات انتهت باستعادة بني عباد لمدينة قرطبة ثم اعاد المأمون الكرة تارة اخرى ودخلها سنة (٤٦٧هـ) .

وقد اصبحت دولة طليطلة في عهدالمأمون من الدويلات المرهوبة الجانب وامتد نفوذها حتى وصل الى بلنسية شرقاً واهتم المأمون بعمائر المدينة فبنى قصوراً اشتهرت بفخامتها وروعتها .

توفي المأمون سنة (٤٦٧هـ) وتولى الامر من بعده حفيده : يحيى بن ذنون الملقب بالقادر ، وتعد سنوات حكمه فترة اختلال سياسي واضمحلال لقوى هذه الدويلة فقد ابعد القادر عن دست الحكم كل شخصية عرفت بسداد الراي وصدق المشورة ومنهم الوزير ابن الحديدي ، الذي الوزارة ثم قتله سنة (٤٦٨هـ) ، وامام ضغط بني حمود التجأ القادر الى طلب العون من الفونسو الذي قرر شروطاً باهضة مقابل ذلك العون ، فبالاضافة الى المبالغ الى المبالغ الكبيرة ،تنازل القادر عن حصون مهمة كحصن سرية وقثورية وقنالش ، واضطر الى مغادرتها والالتجاء الى حصن وبذه

سنة(٤٧٢هـ) واستدعى اهل طليطلة المتوكل بن الافطس حكم بطليوس ليتولى ادارة المدينة فقدمها مكرهاً ، ولم يعمل اكثر من نهب المدينة وافراغ قصور بني ذي نون من محتوياتها ، في الوقت الذي استنجد القادر بحليفه الفونسو السادس فامده بقوات استعادت طليطلة سنة (٤٧٤هـ) بعد ان غادرها ابن الافطس . ولم تضف سيطرة القادر على المدينة جديداً بل زادتها ارهاقاً وفوضى على كافة المستويات الاقتصادية والامنية فضلاً عن انقسام العامة الى عدة احزاب متخاصمة بين مؤيد ومعارض . وهذه الحالة شجعت الفونسو السادس على تنفيذ مشروعه بأحتلال مدينة طليطلة فبدأ بمحاصرتها سنة (٤٧٧هـ) وحاول القادر جاهداً فك الحصار بشتى الطرق لكنه فشل امام تعنت الفونسو وتصميمه على دخول المدينة واخيراً اعلنت طليطلة استسلامها بعد ان يئست من مساعدة دويلات الطوائف ، فاحتلها الفونسو سنة (٤٧٨هـ) . كان لسقوط طليطلة وقع شديد بين دويلات الطوائف عامة ، وعدة رؤساء هذه الدويلات ايذاناً بسقوط معاقلهم التي يعتصمون بها ،فاتجهوا نحو المغرب يطلبون نجدة المرابطين ضد القوى الاسبانية الشمالية .

<u>العوامل التي ادت الى انحلال الاندلس و قيام عصر الطوائف</u>

استمر عصر الطوائف ( ) عاماً عاشت فيه الاندلس حالة من التمزق والانحلال وكان اهم عوامل هذا الانحلال:-

١-عناصر المجتمع الاندلسي نفسه فالجميع عملوا على تكوين الدويلات في مناطقهم واعتمدوا على القوة العسكرية لفرض سلطانهم لاضفاء الشرعية على اعمالهم .

٢- غياب القيادة القادرة على الفصل والحسم .

٣- انعدام الادارة المخلصة .

٤- غياب الشرعية والذي يعني غياب الولاء للحاكم .

٥- الفراغ الذي احدثه الغاء الخلافة الاموية والذي حول القيادات الحاكمة الى قيادات لدويلات اقليمية وعنصرية لم تتمكن من فرض سلطانها الفعلي خارج حدود مناطقها .

اما سمات عصر الطوائف :-

١- انفراط الوحدة الوطنية وظهور كيانات صغيرة تسمى بدويلات الطوائف تقوم على مبدأ الزعامة لاسرة من الاسر والاعتماد على قوة عسكرية تتكون من خليط من العناصر الموالية لتلك الاسرة ، نظام الحكم قائم على مبدا الوراثة وغالباً مايكون هذا سبباً في حدوث النزاع بين افراد الاسرة الواحدة .

٢- توجه جميع الدويلات القائمة نحو العمل لمصالحها الذاتية دون الاهتمام للقضايا القومية او حتى مصلحة الجماعة المنظوية تحت لواءها كما كان حكام الطوائف ضعافاً في وطنيتهم ودينهم ، ولايولون اي اهتمام او غيره على اي جزء من اهل الاندلس طالما لايقع ضمن سلطانهم فعندما سقطت طليطلة لم يحرك احد من حكام الطوائف ساكناً ولم يظهر منهم الا المواقف المتخاذلة المشينة .

٣- الصراع الخفي بين هذه الدويلات لكسب مايمكن كسبه من القلاع والحصون والمدن وقد فقدت البلاد جراء ذلك الكثير من ابناءها وتعرضت للدمار بالاضافة الى سوء الاوضاع الاقتصادية بسبب الفوضى وانعدام الامن .

٤- دخول جميع دول الطوائف في سلسلة من التحالفات مع امراء اسبانيا النصرانية اعداء الاندلس التي كان هدفها اقتسام املاك الدويلات الاخرى حتى باتت تلك التحالفات تشكل خطراً كبيراً على معظم الدويلات مادياً بسبب دفع الاموال الكبيرة للاسبان مقابل مساعدتهم ومعنوياً لتدخل الاسبان في شؤون الدويلات القائمة في الاندلس حتى فقدت معظمها استقلالها الذاتي ، وقد كان لهذه السياسة اثرها في في اضعاف دويلات الطوائف بسبب نزاعها المستمر وهو ماسعى اليه امراء المماليك النصرانية .

٥- حرص كافة حكام الطوائف على الارتسام بسمات الملك والتقلب بشتى الالقاب الملوكية والسلطانية وزاد بعضهم ان اصطنع لدويلته وحكمه الشرعية والخلفية اللازمة لتسويغ اعماله وفرض سلطانه على الاخرين عن طريق تنصيب الخلفاء بطريقة تثير السخرية كما فعل بنو عباد عندما نصبوا خلف الحُصري وادعوا انه الخليفة هشام المؤيد .

٦- الا ان الحسنة الوحيدة التي تميز بها عصر الطوائف فهي توجهاتها العلمية فقد كانت الفترات القليلة التي يسود فيها السلم فرصة للتمتع بقسط لابأس به من الرخاء وتغمرها الحركة والنشاط ، كان بعض حكام الطوائف من حماة العلوم والاداب كما كان معظمهم من اكابر الادباء والشعراء والعلماء وقد كانت قصورهم منتديات زاهرة لجمهرة من علماء ذلك العصر وادباءه المشهورين .

الفصل الثامن

عصر المرابطين :-

في الوقت الذي كانت فيه الاندلس تعيش عصر دويلات الطوائف كانت منطقة المغرب الاقصى تتقاسمها اربعة قوى او امارات في ذلك الوقت الذي اوجد فيه داعية المرابطين عبدالله بن ياسين قوى سياسية من الملثمين (المرابطين) خلال الاعوام (٤٢٩هـ-٤٤٤هـ) قامت هذه القوة خلال الفترة (٤٤٤هـ -٤٧٦هـ) بالقضاء على امارات المغرب الاقصى المتنازعة وتوحيدها سياسياً ،ودخلت هذه الدولة الفتية في علاقات متشابكة مع امارة بني حماد في الجزائر ، وامارة بني زيري في تونس ومع امارات الطوائف في الاندلس .

كان سقوط طليطلة في عام (٤٧٨هـ -١٠٨٥م) حافزا لملوك الطوائف وعلى راسهم المعتمد بن عباد لدعوة المرابطين من اجل رد خطر الاسبان فجاءت هذه الدعوة بعد ثلاثة اشهر من سقوط طليطلة . فعبرت قوات المرابطين الى الاندلس بقيادة يوسف بن تاشفين في عام (٤٧٩هـ - ١٠٦٨م) فرحب بهم ملوك الطوائف ووحدوا جهودهم في سبيل انقاذ الاندلس وسارت القوات المشتركة صوب سهل الزلاقة شمالي بطليوس

لتلتقي بالاسبان وحلفاءهم من الاوربيين بقيادة (الفونسوالسادس) والذي ارسل صريخه الى دول اوربا والتقى الجيشان عام (٤٧٩هـ -١٠٨٦م) فهُزمت قوى الاسبان وانتصر المسلمون على الرغم من عدم استرجاعهم لمدينة طليطلة من سيطرة الاسبان. وبعد معركة الزلاقة عادت قوات المرابطون بقيادة يوسف بن تاشفين الى المغرب . في الوقت نفسه استمرت غارات الاسبان الموجودين في (حصن اليط) على مدن شرق الاندلس فاستنجد ابن عباد من جديد بالمرابطين الذين عبروا الى الاندلس عام(٤٨١هـ -١٠٨٨م) واستطاعوا تخليص المسلمين من خطر حصن اليط ورجع ابن تاشفين الى المغرب تاركاً حاميات مرابطية تتصدى للاسبان خاصة في شرق الاندلس .

خلع ملوك الطوائف وتوحيد الاندلس

قرر يوسف بن تاشفين خلع ملوك الطوائف والاعتماد على نفسه في مواجهة خطر الاسبان وذلك لعدة اسباب :-

١- الخلافات الشديدة بين ملوك الطوائف ، وقد فشلت جهود يوسف في ازالتها .

٢- الموقف الحرج الذي احاط بالقوات المرابطية في الاندلس حيث قطع عنها ملوك الطوائف الميرة والتموين فاحرج مركزها وساء هذا الامر يوسف .

٣- اعتبر ملوك الطوائف التضحيات التي قدمها المرابطون في الاندلس امور فرضتها الاخوة الاسلامية وبذلك عادوا الى منازعاتهم والى التعاون مع الاسبان بل تطور الامر الى الكيد للمرابطين الموجودين في الاندلس .

٤- فتاوى فقهاء المشرق الاسلامي امثال الغزالي والطرطوشي بوجوب خلع ملوك الطوائف وتاييد فقهاء الاندلس وعامة الناس بضرورة خلعهم اعطى صفة شرعية لعمل يوسف بن تاشفين مما شجعه على ذلك . عبر يوسف بن تاشفين الى الاندلس عام (٤٨٣هـ) بدا بمحاربة الاسبان ليقطع اي اتصال لهم مع حلفائهم من ملوك الطوائف وقد تصدى للمرابطين الفونسو السادس فانسحب المرابطون دون الدخول في معركة حاسمة مع الائهم من ملوك الطوائف وقد تصدى للمرابطين

الفونسو السادس فانسحب المرابطون دون الدخول في معركة حاسمة مع الاسبان ولم تشترك القوات الاندلسية في هذه المعركة مع المرابطين مما اثار تذمر يوسف بن تاشفين .

جهاد المرابطين ضد الممالك النصرانية

اما اهم المعارك التي خاضتها دولة المرابطين في الاندلس ضد الممالك الاسبانية فهي :-

١- معركة اقليش :- وهي المعركة التي دارت بين قوات المرابطين وقوات مملكة قشتالة بقيادة سانشو ابن الفونسو السادس في مدينة اقليش الواقعة شرقي طليطلة عام (٥٠١هـ -١١٠٨م) حيث انهزمت فيها القوات الاسبانية وقتل قائدها الامير سانشو بعد هذا الانتصار كررت القوات المرابطية هجومها على مدينة طليطلة واوشكت ان تسترجعها وبخاصة في عام (٥٠٧هـ -١١٤م) الا انها لم تستطع ذلك . وتقع هذه المعركة ضمن المرحلة الاولى من مراحل جهاد المرابطين مع مملكة قشتالة والتي تميزت بالتفوق العسكري للجيوش المرابطية .

٢- معركة قتندة :- هي المعركة التي دارت بين القوات المرابطية وقوات الفونسو المحارب ملك اراغون عام (٥١٤هـ /١١٢٠م) والتي وقعت في حيز دروقة من اعمال سرقسطة حيث انتصر الاسبان في هذه المعركة واستشهد من المسلمين الالاف ومن بينهم العديد من الفقهاء والعلماء .

٣- معركة القلاعة :- وهي المعركة التي وقعت بين القوات المرابطية وقوات مملكة اراغون بقيادة الملك الفونسو المحارب عام (٥٢٣هـ /١١٢٩م) اذ تعد هذه المعركة من المعارك المهمة التي وقعت في شرق الاندلس حيث انتصر فيها الفونسو وقد اتاح له هذا الانتصار ان يشدد هجماته على مدينة بلنسية وماجاورها من الحصون .

٤- معركة افراغة :- وهي المعركة التي دارت بين القوات المرابطية وبين قوات الفونسو المحارب ملك اراغون عام (٥٢٨هـ /١١٣٤م) ، اذ تجاوز الفونسو خلافاته مع ملك قشتالة (السليطين) وجهز قواته صوب ماتبقى من قواعد الثغر الاعلى وهاجم مدينة مكناسة فسلمت امورها له ، ثم زحف نحو افراغة فتصدت له القوات المرابطية ، ودارت تحت اسوار هذه المدينة معركةافراغة التي كانت من اعنف المعارك وكان من اهم نتائجها انتصار المرابطين مرة ضد ملك اراغون وبعد هذه المعركة مات الفونسو بأيام وقد كان لنصر المرابطين صدى عميق في سائر انحاء الاندلس حيث اعادت هذه المعركة للمرابطين سمعتهم العسكرية ، ولو انهم لم يستغلوا هذا النصر ويزحفوا الى سرقسطة من اجل ارجاعها الى دولة الاسلام .

ويمكن ملاحظة ظاهرتين في هذا الموضوع :-

أ- ان اكثر دول الطوائف سيطرت عليها القوات المرابطية نتيجة تعاون ملوكها مع الاسبان وموقفهم المضاد للمرابطين .

ب- ان بعض ملوك الطوائف مثل بلنسية ومملكة بلنسية ومملكة الجزائر الشرقية دخلتها القوات المرابطية لانقاذها من هجمات الاسبان فقد سيطر (السيد القمبيطور) وهو مغامر قشتالي سيطر على مدينة بلنسية وعاث فيها وبعد موته تعاونت زوجته مع الفونسو السادس لصد هجمات المرابطين الذين دخلوها عام (٤٩٥هـ) اما الجزائر الشرقية فقد تعرضت لهجمات الاساطيل الاسبانية والايطالية الى ان انجدها المرابطون عام (٥٠٩هـ).

بالنسبة لجهاد المرابطين للممالك النصرانية يمكننا ملاحظة مايلي :-

١- تزعم الفونسو السادس ملك قشتالة جبهة الاسبان ضد المرابطين و بعد وفاته تزعمها الفونسو السابع اي وجود الملك الاسباني القوي حسب مقتضيات الامور .

٢- اتسمت المعارك المتبادلة بين الجانب المرابطي والاسباني بعنفها وقوتها ، وقدعزز كل جانب معاركه بروح دينية عالية تزعمها رجال الدين من الطرفين من اجل احراز النصر وكسب المعركة .

٣- على الرغم من الروح الجهادية العالية التي تمتع بها الجيش المرابطي في الاندلس ، وانتصاراته في معارك مهمة ضد الاسبان ، الاان هذا الجيش لم يستطع استرجاع اية مدينة اندلسية مهمة سيطر عليها خلال مراحل الصراع ، ابتداءً من مدينة طليطلة ، ومروراً بغربي الاندلس والى منطقة الثغر الاعلى .

٤- اثقلت الحروب الجهادية هذه كاهل الجيوش المرابطية في الاندلس وفقدت ، وفقدت خيرة قادتها ، مما اضعف هذه الجيوش فيما بعد ، والتي انشغلت في مقاومة ثورة اهل الاندلس ، وحركة المهدي في عدوة المغرب ، مما شجع الاسبان على مواصلة توسعهم على حساب بلاد الاندلس ، والسيطرة تباعاً على اهم قواعده .

الفصل التاسع

دولة الموحدين في الاندلس

الاندلس ولاية موحدية (٥٤٠هـ - ٦٢٠هـ/١١٤٥م -١٢٢٣م)

تظافرت عوامل متعدده في اضعاف المرابطين سواء في شمال افريقيا او في الاندلس ، ولعل ضعف الامراء الذين تولوا الحكم بعد علي بن يوسف بن تاشفين (٥٠٠-٥٣٧هـ) وقيام بعض حركات التمرد ضدهم التي عرفت بثورات المريدين في جنوب غرب الاندلس ، كان في مقدمة الاسباب ، بالاضافة الى ظهور نشاط الموحدين في عدة المغرب ، هذا النشاط الذي مر في مرحلتين :

الاولى هي مرحلة ابي عبدالله محمد بن تومرت ، وقد بدأت هذه المرحلة من عام (٥١٥هـ) الى عام (٥٢٤) . وقد اسس محمد بن تومرت دعوة على اساس ديني قوامه الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى اساس قبلي وهو الصراع بين القبائل البربرية ، قبيلة لمتونة (المرابطين) ، وقبيلة هرغة من مصمودة (الموحدين) واتخذ محمد بن تومرت حصن (تينملل) مقراً له ولدعوته ، وحاولت القوات المرابطية في هذه المرحلة السيطرة على هذا الحصن ففشلت .

الثانية هي مرحلة عبد المؤمن بن علي (٥٢٤ -٥٤٣هـ) والتي توجت بسقوط دولة المرابطين، وقيام دولة الموحدين ، وذلك من خلال معارك دامية يطول شرحها .

في الاندلس منيت القوات المرابطية بهزائم متكرره امام القوات الاسبانية ، واستطاعت الممالك الاسبانية استرداد اهم المدن والقواعد الاندلسية تباعاً . اضافة الى قيام بعض حركات التمرد ضدهم والتي عرفت بحركات المريدين وبخاصة في الجنوب الغربي من الاندلس ، ومثل هذه الحركات وبأهداف مختلفة قامت في شرق الاندلس ، وفي وسط وجنوب الاندلس . ويتبين لنا من خلال دراسة هذه الحركات التي قامت بين الاعوام (٥٣٩ -٥٤١ هـ) وهي سنة عبور الموحدين الى الاندلس ، ان اكثر ثوار الاندلس ضد المرابطين هم من الفقهاء والقضاة واعلام الادب ، وهذا يعود الى المركز والنفوذ اللذين تمتعوا بهما في ظل دولة المرابطين ، حتى تركزت فيهم عناصر الزعامة المحلية ، فلما بدا سلطان المرابطين بالافول قام هؤلاء الفقهاء والعلماء بحركاتهم من اجل

استرداد سلطانهم القومي الان معظم هذه الحركات تم القضاء عليها اما بواسطة القوات المرابطية الموجودة في ولاية الاندلس ، او بانضواء قادتها تحت لواء الدولة الموحدية .

عبور الموحدين الى الاندلس :

كان اول جيش ارسله الموحدون الى الاندلس في عام (٥٤١هـ) وذلك من اجل ازالة مابقي فيها للمرابطين من سلطان ، ومن اجل القضاء على الزعامات المحلية التي ظهرت في الاندلس في خاتمة حكم المرابطين . ولعل في مقدمة الاسباب التي دفعت الموحدين الى ذلك هو : ١) الحفاظ على كيان الاسلام في بلد الاندلس ٢) الحفاظ على كيانهم في عدوة المغرب من هجوم مرابطي محتمل من الاندلس . ومما شجعهم على التطلع لبلد الاندلس الدعوات الرسمية والشخصية التي تلقوها من العلماء والحكام المحليين الذين رحبوا بقدوم الموحدين ، وفي مقدمتهم : علي بن عيسى بن ميمون قائد الاسطول في مدينة قادس ، والثائر ابن حمدين القاضي زعيم ثورة قرطبة وغيرهم كثير .

على اثر ذلك قرر عبد المؤمن ارسال ثلاثة جيوش الى الاندلس عبرت في عام (٥٤١هـ/١١٤٦م) وسيطرت على مدن الجنوب مثل طريف والجزيرة الخضراء ، كما اعلن اهل شريش ولاءهم للموحدين وقد سماهم الموحدونتقديراً لذلك السابقون الاولون .

زحفت القوات الموحدية الى غربي الاندلس ، فسيطرت على مدن لبلة وبطليوس وشلب وباجة ويابرة بكل سهولة حيث اعلن حكامها الولاء للوافد الجديد الا ان المدينة المهمة التي امتنعت على الموحدين في غرب اغلاندلس والتي شددوا عليها الحصار براً وبحراً هي مدينة اشبيلية ، الاان القوات الموحدية اقتحمتها بعد ان ابيدت بعض القوات المرابطية فيها .

الا ان معظم مدن غرب الاندلس – ماعدا شريش - تمردت على الحكم الموحدي ،وكان هذا التمرد بزعامة مدينة اشبيلية التي انهزمت منها القوات الموحدية . ولما وصلت هذه الانباء الى عبد المؤمن بن علي في عدوة المغرب ، ارسل جيشاً جديداً الى الاندلس اعاد السيطرة على معظم مدن غربي الاندلس واستطاعت الجيوش الموحدية من السيطرة على مدينة قرطبة ، بعد تفاهم

وتعاون مع حاكم قرطبة (يحيى بن غانية المرابطي) الذي فضل التعاون مع الموحدين من اجل التخلص من خطر الاسبان وبالذات ملك قشتالة ، فدخلت القوات الموحدية قرطبة في عام (٥٤٣هـ /١١٤٨م)

ومن قرطبة اخذت القوات المرابطية ترسل سراياه الى المدن والحصون المجاورة في وسط الاندلس ، فسيطرت على مدينة ابدة وبياسة وسيطرت بعض السرايا الاخرى على حصن شلير واركش وبرشانة . وقام صاحب مالقه (ابو الحكم بن حسون) الذي كان يخشى هجمات بقايا القوات المرابطية القريبة منه ، ويخشى كذلك الخطر الموحدي الزاحف فتعاون مع الجند الاسبان لرد هذه المخاطر لكن سكان المدينة ثاروا عليه فقتلوه في عام (٥٤٧هـ/١١٥٢م) وبعدها دخلت القوات الموحدية مدينة مالقة .

وبقيت مدينة غرناطة اخر معاقل المرابطين في الاندلس ، فحاول يحيى بن غانية المرابطي اقناع حاكم غرناطة المرابطي (ميمون بن بدر اللمتوني بالاستسلام للموحدين ، فامتنع ميمون بشدة . وفي هذه الفترة مات يحيى بن غانية في عام (٥٤٣هـ /١١٤٨م) واستمر ميمون حاكم غرناطة في عناده الى عام (٥٥١هـ/١١٥٦م) فنزل عن مدينة غرناطة للموحدين بعد ان حصل على الامان من زعيم الموحدين الخليفة عبد المؤمن بن علي .

انتهز الاسبان ثورة اهل الاندلس على المرابطين ، فاستولوا على مدينة المرية في عام (٥٤٢هـ/١١٤٧م) واصرت القوات الموحدية بعد سيطرتها على مدن وسط الاندلس على استرجاع هذه المدينة البحرية المهمة ، فجهزت قواتها البرية واساطيلها البحرية وحاصرت المدينة بقيادة ابي سعيد والي غرناطة الموحدي ، وهو ابن الخليفة عبد المؤمن ، وبعد حصار دام سبعة اشهر فتح الموحدون المدينة ودخلوها في اواخر عام (٥٥٢هـ/١١٥٧م) بعد ان فشلت جهود الممالك الاسبانية واعوانها من القوات الاوربية في استرجاع المدينة .

علاقة الموحدين بالامارات السياسية المستقلة :-

١- علاقة الموحدين مع ابن مردنيش امير شرق الاندلس :

استطاع ابو عبدالله محمد بن سعد بن مردنيش الجذامي بالولاء (وهو من المولدين) بالتعاون مع ابراهيم بن احمد بن مفرج بن همشك (المقطوع الاذن) الاستقلال في منطقة شرق الاندلس وعزز هذا الامر بالتعاون مع الممالك الاسبانية وبعض الدول الاوربية . وبسبب هذا التعاون لقبه البابا بصاحب الذكر الحميد وعرف ايضاً باسم الملك .

اوجدت معاهدة تطيلة التي عقدت بين ملك قشتالة وملك اراغون عام (٥٤٥هـ/١١٥١م) واتي اتفق الملكان فيها على تقسيم بلاد الاندلس والاستيلاء عليها ، فكان نصيب ملك اراغون شرق الاندلس والاستيلاء عليها بشرط ان يتولى جكم مدينتي مرسية وبلنسية بصفته تابعاً لملك قشتالة حالة من االذعر عند ابن مردنيش الذي اسرع الى عقد محالفات مع هذين الملكين تعهد بان يدفع خمسين الف مثقال ذهباً سنوياً الى كل منهما . ونتيجة لارتماء ابن مردنيش في احضان الاسبان ثار عليه اهل شرق الاندلس ولكنه استطاع ان يقضي على هذه الثورة مما اثار غضب الموحدين بسبب علاقتهم بالثوار ، ولهذا ارسل الخليفة عبد المؤمن رسالة الى ابن مردنيش بهذا الخصوص ، بعد ذلك اخذ ابن مردنيش يغزو بلاد الاندلس التابعة للالندلس بغية الاستيلاء عليها . كانت اول الخطوات التي اتخذها عبد المؤمن لمواجهة خطر ابن مردنيش هو المباشرة فوراً ببناء قاعدة حربية في جبل طارق عرفت باسم مدينة الفتح ، بعد ذلك عبر عبد المؤمن الى الاندلس واجتمع بزعماء الموحدين والاندلسيين ، وقبيل رجوعه امر قواده بمواصلة غزو ابن مردنيش وقتاله .

كانت اول مدينة استرجعها الموحدون هي مدينة قرمونة ،كما عزز الموحدون قواتهم في مدينة اشبيلية وقرطبة فاصبح من العسير السيطرة عليها من قبل ابن مردنيش . الاان ابن همشك حليف ابن مردنيش سار صوب غرناطة واستطاع دخولها بمساعدة بعض يهودها ، فتحصن الموحدون في قصبتها واستمروا في مقاومة الغزاة في الوقت نفسه بعثوا صريخهم الى عبد المؤمن، وكذلك استنجد ابن همشك بحليفه ابن مردنيش فسارت قوات الطرفين الى غرناطة فكان اللاقاء في مرج الرقاد بظاهر غرناطة فحلت الهزيمة بالموحدين وذلك عام (٥٥٧هـ) ونكل ابن همشك باهل غرناطة واسرى الموحدين ابشع تنكيل ولما بلغت اخبار معركة مرج الرقاد الخليفة عبد المؤمن ارسل جيشاً كبيراً الى الاندلس وعهد بقيادته الى ابنه ابي يوسف يعقوب ،اتجه صوب غرناطة من اجل استرجاعها في الوقت نفسه سار ابن مردنيش صوب غرناطة لنجدة حليفه ابن همشك ، تعاونه قوات اسبانية فعسكر قبالة غرناطة ، قرر الموحدون اقتحام المدينة ومهاجمتها ، وانهزم ابن همشك وقتل الكثير من قواته . ودخلت القوات الموحدية المدينة منتصرة عام (٥٥٧هـ /١١٦٢م) ولم يستطع ابن مردنيش مساعدة ابن همشك وانجاده .

عزم الموحدون على غزو بلاد ابن مردنيش والقضاء عليه ، فكانت الخطوة الاولى التي اتخذوها في هذا المجال : اولاً نقل العاصمة من اشبيلية الى قرطبة ، وثانياً : تحصين مدينة غرناطة ،وثالثاً عبر عبد المؤمن الى الاندلس عام (٥٥٨هـ/١١٦٣م)ولكن هذه الامور تعثرت بوفاة الخليفة الموحدي فجأة في العام نفسه وظهور الخلاف بين اولاده حول الخلافة ، ولم تحل هذه المشكلة الا في عام (٥٦٣هـ) فأستفاد ابن مردنيش من هذه الاحوال ، وسار بقواته صوب غرناطة ، الا ان القوات الموحدية تصدت له فرجع منسحباً الى بلاده .

وصلت امدادات اضافية للجيش الموحدي من المغرب وسار جيش الموحدين للقاء ابن مردنيش والتقى الطرفان في معركة فحص الجلاب عام (٥٦٠هـ/١١٦٥م) فكانت ابن مردنيش وانسحابه الى مرسيه فلحقه الموحدون وشددوا عليه الحصار ، ثم انسحبوا دون ان تقدم لنا الروايات تعليلاً لذلك .

بدأ الضعف يدب في امارة ابن مردنيش وذلك بسبب تذمر الرعية منه والتي اثقلها بالضرائب لسد واشبع رغبات الفرق الاسبانية والتي اعتمد عليها مما جلبت له عداوة كبار قواده ، اضافة الى سوء العلاقات بين ابن مردنيش وصهره لمنايوسف بن هلال ، وابراهيم بن همشك ، فقامت الحروب والمنازعات فيما بينهما فكان من نتائجها انضمام ابن همشك الى طاعة الموحدين .

استمرت الحروب اكثر من سنة بين الحليفين السابقين ، وازاء اشتداد هجمات ابن مردنيش ، استغاث ابن همشك بالموحدين حتى عبر بنفسه الى عدوة المغرب يطلب العون منهم ، فأعانوه وعبرت القوات الموحدية الى الاندلس لقتال ابن مردنيش وعبر ابن همشك معهم عام (٥٦٦هـ /١١٧١م) سارت القوات الموحدية نحو مرسية بعد ان استولت على الحصون والقلاع الواقعة في الطريق بما فيها مدينة لورقة وجزيرة شقركما خرجت مدينة المرية عن طاعة ابن مردنيش واعلنت الولاء والطاعة للموحدين . وخلال هذا الوقت كانت القوات الموحدية محاصرة لمدينة مرسية واذاقت ابن مردنيش الامرين .ولما عبر الخليفة الموحدي ابو يعقوب يوسف الى الاندلس في عام(٥٦٦هـ/١١٧٠م) ونزل الى اشبيلية ، ذهب اليه اخوه السيد ابو حفص قائد الجيوش الموحدية المحاصرة لابن مردنيش وجلب معه الاعيان والولاة الذين اعلنوا الولاء للموحدين .انتهز ابن مردنيش فهاجم جزيرة شقر محاولاً استرجاعها الاانه فشل امام هجمات واليها فرجع الى

مرسية يعاني من مرضه الذي مات فيه عام (٥٦٧هـ) وتولى الامر من بعده ابنه ابو القمر هلال الذي دخل في طاعة الموحدين بعد ان راى ان لاجدوى للعصيان .

علاقة الموحدين مع بنى غانية امراء الجزائر الشرقية :-

ينتمي بنو غانية حكام الجزائر الشرقية (البليار) الى قبيلة مسوفة الصنهاجية واشتهر منهم يحيى ومحمد اولاد علي المسوفي ، احد رجلات امير المسلمين يوسف بن تاشفين وسموا بهذا الاسم نسبة الى امهم ، وهو تقليد مرابطي معروف .

عاصر محمد بن علي المسوفي افول نجم المرابطين في عدوة المغرب والاندلس وقيام دولة الموحدين التي ورثت المرابطين في حكم بلاد العدوتين ، فعزز ابن غانية حكمه في هذه الجزائر النائية واستمر ولاؤه للمرابطين ولدولة بني العباس ، واصبحت ملجأ للفارين من فلول لمتونة والمرابطين الذين لقوا الرعاية والامان في ظل حكم هذه الاسرة ، واستمر محمد بن غانية بحكم الجزائر الشرقية الى عام (٥٥٠هـ/١١٥٥م) .

خلف محمد بن غانية اربعة اولاد عبد الله واسحاق والزبير وطلحة فبعد منازعات بين هؤلاء الاخوة استطاع اسحاق ان يحكم هذه الجزائر واستمر على سياسة ابيه في استقبال فلول لمتونة الوافدين عليه . واعتمد اسحاق بن غانية على اسطول قوي حسبت له الممالك الاسبانية وجمهورية جنوة وبيزة والبندقية الف حسايزة والبندقية الف حساب ودفع ملوكها الاموال الطائلة لهذا الامير وعقدوا معه المعاهدات لضمان تحرك اساطيلهم التجارية بحرية فب ودفع ملوكها الاموال الطائلة لهذا الامير وعقدوا معه المعاهدات لضمان تحرك اساطيلهم التجارية بحرية في حوض البحر المتوسط وذلك في عام (٥٧٢هـ/١١٧٧م) . كان بنو غانية يشعرون بالامان خلال قتال ابن مردنيش للموحدين ، ولكن بد وفاة ابن مردنيش وسيطرة الموحدين على شرق الاندلس عام (٥٦٧هـ/١١٧٢م) شعر اسحق بن غانية بالخطر فاخذ في مصانعة الموحدين والتودد اليهم بارسال الهدايا الثمينة الى حكامهم . ثم بعث الموحدون كتبهم الى اسحق بن غانية يدعونه فيها الى الدخول في طاعتهم فامتنع عن ذلك بعد مشاورات طويلة مع اتباعه ولما استشهد عام (٥٧٩هـ /١١٨٤م) خلفه ابنه علي في الحكم ، الذي استغل الضروف السيئة التي مرت بها دولة الموحدين

والمتمثلة في فشل قواتهم امام مدينة شنترين ومقتل خليفتهم ابي يعقوب يوسف ومبايعة الامير الجديد ابي يوسف يعقوب بن يوسف الملقب بالمنصور عام (٥٨٠هـ/٥٩٥م) وانشقاق بني عبد المؤمن على انفسهم وامتناع بعضهم عن البيعة للامير الجديد ، فشجعت هذه الظروف علي بن اسحق بن غانية على التمرد على دولة الموحدين بل واكثر من ذلك شحن قواته البحرية وقرر مهاجمة مدينة بجاية قاعدة الحكم في المغرب الاوسط .

هناك جملة اسباب دفعت علي بن اسحق الى مهاجمة بجاية : منها معرفة اهل الجزائر الشرقية باحوال هذه المدينة واهلها بسبب التبادل التجاري بينهما ومنها الدعوات الكثيرة التي تلقاها امير الجزائر الشرقية من اعيان هذه المدينة يدعونه فيها الى القدوم ومنها الخطط التي رسمها علي بن اسحق والتي املته بالتعاون مع خصوم الموحدين في المنطقة وهم طوائف العرب من بني هلال ورياح الذين قضى الموحدون على ثورتهم عام (٥٧٦هـ/١١٨١م) ثم الاعتماد على بني حماد اصحاب بجاية الذين قضى الموحدون على ملكهم ، بالاضافة الى الاعتماد على بني مطروح في طرابلس وعلى قرقوش التقوي مملوك صلاح الدين الايوبي .

استطاع علي بن اسحق ان يسيطر على بجاية ومدن اخرى وقطع الخطبة للموحدين في البلاد التي استولى عليها ، وامر بالدعاء للخليفة العباسي الناصر لدين الله عام (٥٧٥- ٦٢٢هـ) ولما علم الخليفة الموحدي المنصور جهز جيشاً برياً وعهد بقيادته الى ابن عمه السيد ابي زيد بن ابي حفص ، وجهز الاسطول ابحري الذي خرج من سبته معاوناً الجيش البري وفق خطة حربية واحدة . استطاعت القوات الموحدية استرجاع المدن التي استولى عليها ابن غانية تباعاً ودمرت الاسطول البحري واسرت قائده وذلك عام (٥١٨هـ/١١٨٥م) فهرب علي بن اسحق واخوه يحيى واعوانهما الى جوف الصحراء فعجز الموحدون عن اللحاق بهم .

وصل بنو غانية الى منطقة الواحات ببلاد الجريد وكسبوا ود قبائل العرب . وبلغ علي بن اسحق نزول قرقوش بقواته الغز بلدة الحامة في جهات طرابلس فراسله من اجل التعاون بينهما لرفع راية بني العباس هناك واتفقا على تقسيم البلاد التي يستوليان عليها سوية .بعد هذا الاتفاق حاول علي بن اسحق السيطرة على البلاد التي اصبحت ضمن حقه وكذلك قام قرقوش بنفس الخطوة واستولوا على مدن مغربية مهمة مثل توزر وطرابلس وغيرها. وبعد ذلك تلقب علي بن اسحق بلقب امير المسلمين واقام الدعوة للخلافة العباسية في هذه البلاد . راى المنصور الموحدي ان امر بني غانية

وحليفهم قد استفحل ، فسار بقواته في عام (٥٨٢هـ ١١٨٦م) صوب تونس ثم ارسل قواته لمقاتلة بني غانية المرابطين قرب مدينة قفصة ،الا ان قواته هزمت هزيمة منكرة في معركة سهل عمرة عام (٥٨٣هـ/١١٨٧م) كان لهزيمة سهل عمرة وقع سيئ في نفس المنصور الذي سار بنفسه من تونس الى القيروان ومن هناك بعث الى ابن غانية ينذره بوجوب الدخول في طاعته ، الاان ابن غانية لم يستجب لذلك بعدها سار المنصور بقواته صوب الحمة واستطاع هزيمة ابن غانية وحليفه واسترجاع كل من توزر وقفصة وتونس . ونتيجة لانتصار الموحدين تخلى حلفاء علي بن اسحق عنه اذ ارسل قرقوش الى خليفة الموحدين طالباً منه العفو والدخول في طاعته .

مات علي بن اسحاق بعد ان فشل في السيطرة على الاراضي التي استولى عليها الموحدون . وتولى اخوه يحيى بن غانية من بعده الذي بدأ ولايته بالحرب على قراقوش ال\اي اعلن التمرد على الموحدين اولاًثم سيطر على بعض المناطق التي كانت تحت سيطرة علي بن اسحق ثانياً ، الا ان يحيى استطاع يحقق نجاحاً فغي استرداد طرابلس وقابس .

خلا عصر الخليفة الموحدي ابي عبدالله محمد الناصر (٥٩٥هـ -٦١٠هـ) تجددت الحروب بين الموحدين وابن غانية في افريقية خلال (٥٩٥هـ - ٥٩٧م) بعد ان سيطر ابن غانية على اكثر بلاد افريقية . فاستولى على المهدية ، وباجه ،ثم دخلت مدينة بسكرة وبونة في طاعته ، ثم سار الى تونس واستولى عليها بعد حصار طويل ، ثم سار الى جبل نفوسه واخضعه بعد ان اعلن اهله العصيان وبذلك اصبح ابن غانية سيد افريقية بلا منازع وخطب فيهل لبني العباس في بغداد .

وخلال حروب بني غانية في بلاد افريقية حصلت امور في الجزائر الشرقية غيرت موازين القوى فيها ، ففي عام (٥٨١هـ -١١٨٦م) استطاع قائد الخليفة الموحدي المنصور علي بن الربرتير الذي كان معتقلاً في جزيرة ميورقة -ارسل الخليفة المحي سفيراً الى الجزائر الشرقية يدعوا اهلها الى الطاعة فسجنه بنو غانية هناك – ان ينتهز فرصة غيلب معظم امراء بني غانية في افريقية فيتصل ببعض الجنود المسيحيين الموتزقة الذين كانوا في خدمة بني غانية والرغبين في العودة الى بلادهم فوعدهم بتحقيق ذلك ، فقام معهم بانقلاب ضد حكم بني غانية ، وانضم اليهم حاكم الجزيرة السابق محمدبن اسحق بن غانيةالذي كان اخوته قد خلعوه واعتقلوه بالجزيره فاقامه الثوار حاكماً على الجزيرة باسم الموحدينثم عاد علي بن الربرتير الى مراكش بعد ان سرح الجند المسيحيين واعادهم الى بلادهم حسب الوعد . على ان نفوذ الموحدين على الجزيرة لم يدم طويلاً ، اذ سرعان ماعلم

بنو غانية في افريقيا بأخبار هذا الانقلاب فسارع الامير عبدالله بنغانية بالرجوع الى الجزيرة عن طريق صقلية ، واستطاع عبدالله دخول الجزيرة ففر اخوه محمد الى الاندلس حيث ولاه المحدون حكم مدينة دانية وفي الوقت نفسه حاول الخليفة المنصور انقاذ جزيرة ميورقة . فارسل الاسطول اليها الاان زمام الامور كان قد افلت من يه وبخاصة وان اسطول ملك اراغون الاسباني بيدرو الثاني تدخل لصالح اهل ميورقة .

الا ان جزيرتي يابسة ومنورقة وقعتا تحت سيطرة الموحدين في عام (٥٨٣هـ/١١٨٧م) وبقيت كبرى الجزر ميورقة خارجة عن طاعة الموحدين ، وحاول عبدالله بن غانية استرجاع هاتين الجزيرتين فلم يفلح . ولما استفحل امر بني غانية في افريقية ، ادركت الدولة الموحدية ان القضاء عليهم في افريقية ، يجب ان يسبقه القضاء على مركز قوتهم في جزيرة ميورقة لان هذه الجزيرة كانت بمثابة المورد الذي يغذي بني غانية في افريقية بالرجال والعتاد ، لذلكراى الخليفة الموحدي الناصر لدين الله ان استقرار الموحدين في افريقية لن يستتب الا اذا استولى على جزيرة ميورقة قاعدة بني غانية ، ولهذا صمم على السيطرة عليها .

ففي عام (٥٩٩هـ/١٢٠٣م) خرجت الاساطيل الموحدية من ثغر دانية فنزلت جزيرة يابسة ومنها هاجمت جزيرة ميورقة ، فدخلتها بعد عناء كبير وقتل عبد الله بن غانية على يد رجل من الاكراد يعرف باسم عمر المقدم وبذلك دخلت الجزائر الشرقية في طاعة الموحدين . ثم بعد ذلك تفرغ الخليفة المحدي لقتال بني غانية في بلاد افريقية فسير اليهم الجيوش في عام (٦٠١هـ/١٢٠٤م) واتي قادها بنفسه ويعاونها الاسطول البحري ، وخلال الاعوام من (٦٠١هـ الى عام ٦٣١هـ) - وهي السنة التي مات فيها يحيى بن اسحاق بن غانية – بدات رياح المعرك تهب في غير صالح بني غانية في افريقية ، فاستطاعت الجيوش الموحدية من استرجاع مدن افريقيا تباعاً من ايدي بني غانية بعد ان الحقت بهم الهزائم المتكررة .

<u>علاقة الموحدين مع محمد بن هود بالاندلس</u> :-

كانمحمدبن هود اول من ثار على الموحدين في الاندلس ، فهو سليل اسرة بني هود اصحاب مملكة سرقسطة . سيطر المرابطون عليها عام (٥٠٣هـ/١١١٠م)وانتزعوها من عماد الدولة ابي جعفر

بـن هـود ، ثـم انتهـز ابنـه سـيف الدولـة فرصـة ثـورة الاندلسـيين علـى المـرابطين سـنة (٥٣٩هـ/١١٤٥م) فقام بثورة على المرابطين كما ساعد الثوار الاخرين حتى اصبح اميراً على شرقي الاندلس ثم استشهد عام (٥٤٠هـ/١١٤٦م) في موقعة البسيط ضد الاسبان. لم تشترك اسرة بني هود بعد هذا التاريخ في الاعمال السياسية او العسكرية خلال فترة طويلة من عصر الموحدين فلـم يشـتهر مـنهم احـد الا هـذا (محمـدبن هـود) الـذي قـام بـالثورة علـى الموحـدين سـنة (٦٢٥هـ/١٢٢٨م)فقد اشتهر منذ عام (٦١٤هـ/١٢١٧م)بعد استرجاعه حصن شنفيره من الاسبان في شرقي الاندلس .

عزز محمد بن هود حركته ببعض الخرافات التي سمعها من البعض لتبرير الثورة ضد الموحدين . وانضم اليه طوائف من الجند وبعض عصابات اللصوص ، وبدا حركته في رجب عام (٦٢٥هـ /١٢٢٨م)متخذاًمن حصن الصخور (الصخيرات) مقراً لـه ويقع هذا الحصن على نهر شقورة بالقرب من مرسية ومنى نفسه واتباعه بانه سيمتلك كل الاندلس ، وانه سيعيد الدعوة للخلافة العباسية .

ادرك الموحدون خطورة هذا الامر فسار اليه والي بلنسية ولكن حلت به الهزيمة فعاد الى شاطبة ،ومنها بعث صريخه الى خليفة الموحدين المأمون (٦٢١-٦٢٩هـ) الموجود في اشبيلية يطلب منه العون . سار المأمون بقواته صوب مرسية والحق الهزيمة بابن هود ،ثم رجع المأمون الى اشبيلية في اوائل عام (٦٢٦هـ/١٢٢٩م)،وعجل العبور الى مراكش لاضطراب امرها ،وترك امر ابن هود يزداد قوة .

اعلنت مدن شق الاندلس ولاءها لابن هود ،كما اعلنت مدينة اشبيلية طاعتها لـه ،وبعدها سار محمدبن هود وراء الخليفة المأمون ، فوجده في جزيرة طريف يهم بالعبور الى المغرب ، فقامت بينهما معركة في رمضان من عام (٦٢٦هـ/١٢٢٩م) عرفت بموقعة طريف ،انهزم فيها المأمون ونجا بعبوره الى المغرب فاستولى ابن هود عاى جبل الفتح والجزيرة الخضراء.

نتيجة هذا الامر دخلت معظم قواعد الانلس في طاعة ابن هود ، والحق اهل الاندلس والضرر بجند الموحدين ، ولم يبق فيها خارج طاعته غير مدينتي بلنسية ولبلة . وفي الوقت نفسه اعلنت

بعض المدن في عدوة المغرب ولاءها لمحمد بن هود امثال مدينة سبته ومدينة رباط الفتح ، كما ان رسائل طوائف من عرب الخلط في المغرب ومراكش تعلن ولاءها له ، وذلك من عام (٦٢٩هـ/١٢٣٢م) في بداية عهد الخليفة الرشيد الموحدي (٦٢٩- ٦٤٠هـ) .

وعزز محمد بن هود هذا الامر بالتقليد العباسي لشرعية حكمه ، فوصله عام (٦٢٩هـ) او من عام (٦٣١هـ/١٢٤٣م)كتاب الخليفة المستنصر العباسي يحمله الى الاندلس حسن الكردي الملقب بالكمال فقرأت رسالة الخليفة على الناس في غرناطة حيث كان محمد بن هود موجوداً .

عزز هذا الكتاب امر بن هود في الاندلس حتى ان المتمردين عليه رجعوا الى طاعته بعد وصول هذه الرسالة العباسية ، فقد رجع الى طاعته محمد بن يوسف بن نصر الذي ثار على ابن هود عام (٦٢٩هـ/١٢٣٢م) واستقل في مدينة جيان ودعا للامير ابي زكريا الحفصي امير افريقية . في بداية امر المتوكل محمد بن قام بصد هجمات الممالك الاسبانية على قواعد الاندلس ، الا انه انهزم عام (٦٢٧هـ/١٢٣٠م) امام قوات الفونسو التاسع ملك ليون ، تكالبت عليه بقية الممالك الاسبانية ، فرأى المتوكل بن هود بأن لاقبل له في مجاهدة الاسبان فقرر عقد معاهدات الصلح مع ملوك ليون وقشتالة . ففي سنة (٦٢٣هـ/١٢٣٥م) عقد الصلح مع ملك قشتالة مقابل اموال طائلة يدفعها ابن هود ، الان هذا الصلح لم يلزم ملك قشتالة فاستولى في العام التالي (٦٣٣هـ/١٢٣٦م) على مدينة قرطبة ولم يستطع ابن هود انقاذها . توفي محمد بن هود عام (٦٣٥هـ/١٢٣٧م) ، فخلفه في الحكم ابنه الواثق بالله محمد بن هود الذي خلع طاعة العباسيين وخطب للحفصيين في افريقية .

<u>علاقة الموحدين بابى جميل زيان</u> :-

من يوسف بن سعد بن مردنيش امير شرق الاندلس في اواخر عهد المرابطين واوائل عهد الموحدين وقد استخدم الموحدون ابناء آل مردنيش في حكم الولايات وقيادة الاساطيل بعد سيطرتهم على الاندلس . كان يحكم بلنسية في اواسط عام (٦٢٠هـ/١٢٢٤م) امير موحدي هو ابو زيد عبدالرحمن من سلالة عبد المؤمن وكان فرناندو الثالث ملك قشتالة اذ ذاك يعتبر بلنسية جزءاً من كورة طليطلة ومن ثم فهي من مملكة قشتالة . ولهذا فقد تصدى للهجوم عليها ، فأحس ابو زيد بضعفه امام قشتالة ، فدخل في طاعته ، وفي الوقت نفسه كانت لخايمة الاول ملك ارغون الاطماع

نفسها ، فخاف منه ابو زيد واتفق معه على ان يقدم له خمس خراج بلنسية ومرسية كجزية سنوية . فكان هذا الامر من اهم اسباب قيام محمدبن يوسف بن هود في مرسية ، وثار على ابي زيد في بلنسية ابو جميل زيان وطرده منها .

سار ابو جميل زيان بقواته فاستولى على مدينة دانية ، وكذلك سيطر على جنجالة في عام(٦٢٦هـ/١٢٢٩م) ، واعترف بطاعته ابناء عمومتة في جزيرة شقر وشاطبة ، لكنهما مالبثا ان خلعا طاعة ابن عمهما ، وبايعا محمد بن هود ومعنى ذلك ان الخلاف قد استفحل بين محمد بن هود وبين ابي جميل زيان . لجأ السيد ابو زيد الموحدي الى ملك اراغون الاسباني يستمد منه العون لاسترداد بلنسية ومرسية الان الظروف لم تكن مواتية له ، فرجع الى اراغون وشرح الامر لحليفه الملك الاسباني وطلب ان يكون تابعاً له ، فأعطاه الملك الاسباني بعض الحصون ، واشارت بعض الروايات ان السيد ابا زيد اعتنق المسيحية هناك .

وخلال السنوات من عام (٦٣٠-٦٣٦هـ) شدد ملك اراغون خايمة الاول الحصار على بلنسية ، فسيطر اولاً على اهم حصونها ، ثم سار صوب بلنسية تسلعده اوربية ، وقد صمد ابو جميل زيان طيلة الوقت لصد هذا الهجوم الاسباني غير انه لم يفلح في النهاية ، كما لم تفلح القوات الحفصية القادمة من تونس بحراً ان تقدم له المساعدات ، فسقطت بلنسية بيد ملك اراغون عام (٦٣٦هـ) وترك ابو جميل زيان المدينة ورحل الى جزيرة شقر واتخذها مركزاً لحكمه ، وبعدها قطع الخطبة للعباسيين وخطب للحفصيين في افريقية .

الا ان ابا جميل زيان لم يمكث طويلاً في شقر حيث اخرجه منها احد قواد ملك اراغون الاسبني ، فسار ابو جميل الى مدينة دانية فأتخذها مقراً لحكمه ، وفي عام (٦٣٦هـ/١٢٣٩م)سار ابوجميل زيان الى مرسية وسيطر عليها وحكمها باسم الحفصيين امراء افريقية . قلد الحفصيون الامير زيان ولاية شرق الاندلس ،الا انه لم يتمتع طويلاً بهذه الولاية ، لان الواثق بالله محمدبن هود خلعه عنها في اواخر عام (٦٣٧هـ/١٢٤٠م)واعلن ولاءه للحفصيين. في الوقت نفسه لم يستطع بن هود الصمود امام هجمات ملك قشتالة الفونسو بن فرناندو الثالث ، الذي يطمع بالسيطرة على مدينة

مرسية ، فأعلن ابن هود تبعيته لهذا الملك الاسباني واعترف بأنه يحكم مرسية بصفته تابعاً لملك قشتالة .

علاقة الموحدين بابن نصر :-

هو محمد بن يوسف بن الاحمر الانصاري يرجع نسبه الى سعد بن عبادة سيد الخزرج اشتهرت اسرته بقيادة الجند في ناحية ارجونة من اعمال ولاية جيان ونظراًلكثرة هجمات الممالك الاسبانيةعلى قواعد المسلمين اولاً ، ولعجز محمدبن هود في صد هذا العدوان ، تطلع السكان الى قيادة محمد بن يوسف بن الاحمر في حصن ارجونة واعتبروه المنقذ والقائد المنتظر الذي سيخلص البلاد من خطر الاسبان .فأعلن ابن نصر ثورته في عام (٦٢٩هـ/١٢٣٢م) في حصن ارغونه ، فدخلت في طاعته وادي اش وبسطه وشريش وجيان وقرطبة وقرمونة . وتسمى ابن نصر على ذلك بأمير المسلمين وخطب للخلافة العباسية منافساً لابن هود . ادرك ابن هود مدى خطورة قيام ابن نصر ودخول بعض البلاد في طاعته ، فقد اعتبره ابن هود خارجاً عنه من ناحية ،ومزاحماً له في حكم الاندلس من ناحية اخرى . فقامت بينهما الحروب وحلت الهزيمة بأبن هود ثلاث مرات آخرها في عام (٦٣٣هـ او عام ٦٣٤هـ) بدات دولة ابن نصر بالاتساع على اثر وفاة ابن هود في عام (٦٣٥هـ/١٢٣٨م) . بدأت دولة ابن هود بالاتساع على اثر وفاة ابن هود في عام (١٢٣٨/٦٣٥م) فأول المدن المهمة التي دخلت في طاعته مدينة غرناطة في هذا العام نفسه .وفي العام نفسه سيطر ابن نصر على مدينة المرية ، وفي عام (٦٣٦هـ/١٢٣٩م) اعلنت مدينة مالقة الولاء والطاعة لابن نصر .

في عام (٦٣٧هـ /١٢٤٠م) قطع ابن نصر الخطبة للعباسيين ، وخطب للموحدين في مراكش ، على عهد الخليفة الموحدي الرشيد (٦٢٩هـ - ٦٤٠هـ) ولما توفي الرشيد عام (٦٤٠هـ/١٢٤٣م) قطع ابن نصر الخطبة للموحدين وخطب للحفصيين في افريقية . واستمر ابن نصر يدعو للحفصيين حتى عام (٦٤٧هـ١٢٩٤م) فقطعها عنهم وهي سنة وفاة الامير الحفصي ابي زكريا ، وتسمى ابن نصر بعدها بأمير المسلمين . لم يستطع ابن نصر الوقوف في وجه الاسبان او رد غزواتهم المتواصلة على الاندلس ، فعقد الصلح مع ملك قشتالة فرناندو الثالث في عام (٦٣٤هـ/١٢٤٦م) ، وجاء فيه :ان يتنازل ابن نصر لملك قشتالة عن مدينة جيان واحوازها ، وان يعترف ابن نصر بالولاء والطاعة لملك قشتالة وان يدفع له مائة وخمسين الف دينار ،وان يعاونه

في حروبه ضد اعدائه ، وان يشهد اجتماع مجلس قشتالة النيابي بصفته من الامراء التابعين للملك الاسباني .

ورث الموحدون دولة المرابطين في مجاهدة الممالك الاسبانية ، كان اول عمل قام به عب د المؤمن بن علي المتوفي سنة (٥٥٨هـ/١١٦٣م) لهذا الغرض هوبناء مدينة الفتح على سفح جبل طارق والتي كمل بناؤها في عام (٥٥٥هـ/١١٦٠م) لكي تكون معسكراً موحدياً في الاندلس تنطلق منه الجيوش المجاهدة للاسبان . وبعد ان افتتح عبد المؤمن هذه المدينة رجع الى المغرب بعد ان وفر حامية قوية من الموحدين والاندلسيين ، وجعل غرناطة مركزاُ دفاعياً قوياً ، كما نقلت العاصمة من اشبيلية الى قرطبة سنة (٥٥٧هـ) . ثم بدا عبد المؤمن يجهز الجيوش لرد عدوان الممالك الاسبانية، وسار بها من مراكش الى مدينة الرباط (رباط الفتح)ولكن عبد المؤمن مرض ومات في عام (٥٥٨هـ) ، وتولى الامر من بعده ابو يعقوب يوسف (٥٥٨-٥٨٠هـ) الذي امر هذه الجيوش بالرجوع الى بلادها حتى يتخذ قراراً جديداً . في عام (٥٦٠هـ) عبرت حملة عسكرية موحدية الى الاندلس لتعزيز دفاعات بعض المناطق ضد هجمات الممالك الاسبانية ، كما حدث صدام مسلح مع محمد بن سعد بن مردنيش في مرسية ، والذي كانت له صلات ودية مع عدد من ملوك اسبانيا ، حيث بلغ عدد المرتزقة الاسبان في جيشه في لقاء له مع الجيش الموحدي ، مايقارب (١٣)الف مقاتل ، وكان النصر في هذا اللقاء للموحدين وعرفت هذه المعركة بفحص الجلاب على بعد (١٢)كم جنوب مدينة مرسية وتوفي ابن مردنيش بعد ذلك .

خلال هذه الاحداث كان ملك البرتغال الفونسو ابن الرنك وبعض المغامرين يهددون الحصون الاسلامية في غرب الاندلس ، ففي عام (٥٤٢هـ /١١٤٧) استطاع ملك البرتغال بالتعاون مع قوات صليبية من الانجليز والالمان والهولنديين ، متجهين نحو المشرق ، ان يستولي على مدينة لشبونة ، ثم استولى على مدينة شنترين . وفي عام (٥٥٥هـ/١١٦٠) استولى على قصر ابي دانس (قصر الفتح) .

في الوقت نفسه قام مغامر برتغالي يسمى (العلج جرانده الجليقي) فاستولى على مدن شرق الاندلس . عبرت قوات موحدية الى للحد من خطر الممالك الاسبانية ، واستطاع الموحدون في

الاندلس من عقد معاهدة صلح مع فرانده الثاني (البوج الاحمق) ملك ليون ، الا انه خرق هذه المعاهدة وهاجم قواعد الاندلس عام (٥٧٠هـ/١١٧٤م)فردت القوات الموحدية والاندلسية على هذا الامر بأن هاجمت مدينة لذريق الليوني وتسميها الرواية الاسلامية باسم السبطاط . عبر الخليفة الموحدي ابو يعقوب الى الاندلس عام (٥٦٦هـ) وبقي فيها زهاء خمسة اعوام الى عام (٥٧١هـ) يحارب الممالك الاسبانية ، فتصدت له القوات الموحدية قرب طلبيرة عام (٥٧٨هـ) بعدها عبر الخليفة الموحدي الى الاندلس في عام (٥٨٠هـ) واتجه صوب مدينة شنترين ونازلها في عدة معارك ، الاان الخليفة ابا يعقوب امر بالانسحاب فجأة قبل افتتاحها ، ثم اصيب في المعركة وتوفي بعد قليل في ربيع الآخر عام (٥٨٠هـ/تموز ١١٨٤م) .

تولى الخلافة ابنه وتلقب بالمنصور (٥٨٠هـ -٥٩٥م) . وبعد ان نظم امور دولته عبر الى الاندلس عام (٥٨٦هـ ١١٨٥م) وذلك لرد اعتداءات ملك البرتغال الجديد شانجة الاول الذي سيطر على مدينة شلب الاندلسية بمعاونة القوات الصليبية وكان ذلك في عام (٥٨٥هـ/١١٨٩م) . استطاع خليفة الموحدين بعد معارك جهادية عنيفة من استرجاع مدينة شلب وقصر الفتح (قصر ابي دانس) وذلك في عام (٥٨٥هـ/١١٩١م) ، ورجع بعدها الى عدوة المغرب .

في عهد ملك قشتالة الفونسو الثامن (النبيل)عقد مع الموحدين معاهدة امدها خمس سنين (٥٨٦-٥٩١م) . فلما انتهت بدأ ملك قشتالة بمهاجمة الاراضي الاسلامية ، فعبر اليه المنصور الموحدي بجيوش كبيرة فكان اللقاء قرب حصن الارك قرب مدينة قلعة رباح في عام (٥٩١هـ/١١٩٥م) فأحرز الموحدون النصر الكبير وافتتحوا حصن الارك والحقت هزيمة منكرة بالقشتاليين . وبعد هذه المعركة عقبدت هدنة بين الطرفين ابتداءاً من عام (٥٩٤هـ/١١٩٨م) ولمدة عشر سنوات او اكثر .

في (٥٩٥هـ) توفي الخليفة المنصور ، فخلفه ابنه الناصر الذي كانت سنه دون العشرين .بدأ الفونسو الثامن في عام (٦٠٦هـ -١٢٠٩م) – قبل انتهاء اجل الهدنه – مهاجمة الارضي الاندلسية ، وعاونه في ذلك بطرة الثاني ملك اراغون ، فبعث اهل الاندلس صريخهم الى خليفة الموحدين الذي جهز جيوشه وعبر الى الاندلس عام (٦٠٧هـ/١٢١١م) ، فالتقى الناصر بالفونسو الثامن عند حصن العقاب عام (٦٠٩هـ/١٢١٢م)وكانت تساعده جيوش صليبية تولى البابا (انوصان الثالث)اعدادها ، وانتهى اللقاء بهزيمة جيش الناصر وتشتت قوة الموحدين ، ثم عاد الناصر الى مراكش

حيث توفي عام (٦١٠هـ/١٢١٣م) ربما كمداً من نتيجة الهزيمة في معركة العقاب التي عدت نذيراً بأنحلال الدولة الموحدية . خلف الناصر ابنه ابو يعقوب الملقب بالمستنصر بالله (٦١٠- ٦٢٠هـ) الذي عقد معاهدة سلم مع ملك قشتالة الجديد (فرانده الثالث) ، ولكن الاندلس خسرت بهذه المرة بعض المدن ، منه (ا قصر ابي دانس) التي سيطر عليها ملك البرتغال (الفونسو الثالث) بمساعدة اساطيل المانية وذلك في عام (٦١٤هـ) .

توفي المستنصر فجأة دون عقب عام (٦٢٠هـ/١٢٢٤م)وخلفه ابو محمد عبد الواحد عم ابي المستنصر الذي خلع بعد عدة اشهر ، وتمت مبايعة عبد الله الملقب بالعادل (٦٢١- ٦٢٤هـ) ثم تاته بيعة اخيه المأمون (٦٢٤-٦٢٩هـ) ثم بيعة ابنه الرشيد (٦٢٩- ٦٤٠هـ) هذا التبدل السريع في تنصيب الخلفاء تبعه اعتداء ملوك اسبانيا على الاراضي الاندلسية وسيطرتهم على كثير من المدن والحصون ، حيث قام ملك قشتالة فردلند الثالث بقسط وافر في هذا المجال ، كما لن هذا الامر ادى الى ظهور زعامات محلية في عدوة المغرب اهمها :

١- في المغرب الاقصى ظهرت دولة بني مرين وكان المؤسس لهذه الدولة الامير عبد الحق بن محيو توفي عام (٦١٤هـ) . اتخذ ملوكها فاس ومراكش عواصم لهم .

٢- في المغرب الاوسط ، استقل بنو زيان ، اعلن زعيمهم يغمراسن بن زيان الاستقلال في تلمسان عام (٦٣٣هـ) .

٣- في المغرب الادنى استقل بنو حفص بزعامة (عبد الله بن عبد الواحد بن ابي حفص) حالي عام (٦٢٣هـ) . كما ان اخطار هذا الضعف انعكس على الوجود الموحدي في بلد الاندلس ، ففي عام (٦٢٧هـ/١٢٣٠م) سقطت جزيرة ميورقه بيد ملك اراغون(خايمس بن بطرة)الذي عاونته جيوش اوربية من ايطاليا وفرنسا . ولكن جزيرة منورقة لم تسقط الابعد حوالي ستين سنه ، اي في عام (٦٨٦هـ -١٢٨٧م) بيد القوات الارغونية . هذا الامر المضطرب في الاندلس ادى الى ظهور زعامات محلية ادت الى قيام مملكة غرناطة بزعامة بني الاحمر وفي المدة مابين ضعف الدولة الموحدية وقيام مملكة غرناطة (نحوعام ٦٣٥هـ او بعدها) سقطت حواضر اندلسية بيد الممالك الاسبانية .

اولى الحواضر المهمة الاندلسية التي سقطت هي مدينة قرطبة وذلك في (عام ٦٣٣هـ/١٢٣٦م) حيث دخلتها القوات القشتالية بزعامة ملكها فرانده بن الفنش (فرناندو الثالث) وخلال الاعوام من (٦٣١هـ /١٢٣٣م) الى عام (٦٣٦هـ ١٢٣٨م) تعرضت مدينة بلنسية الى هجمات ملك ارغون خايمس الاول الملقب بالغازي وساعدته جيوش اوربية باركها البابا (جريجوري التاسع) واستطاع حاكم بلنسية ابو جميل زيان ان يقاوم هذا الهجوم الصليبي فتؤة من الزمن الاان المدينة سقطت امام شدة الحصار ، ولم تنفع استغاثاته لامراء عدوة المغرب . تلا ذلك سقوط عدد من المدن القريبة مثل : جزيرة في اواخر عام (٦٣٩هـ) ومدينة دانية في عام (٦٤١هـ)ومدينة جيان عام (٦٤٣هـ) ومدينة شاطبة في عام (٦٤٤هـ) ومدينة مرسية في (٦٦٤هـ) اما مدينة اشبيلية فسقطت بيد قشتالة (فرناندو الثالث) عام (٦٤٦هـ/١٢٤٨م) وذلك بعد اعمال حربية استمرت لعدة سنوات ، وحصار طويل دام حوالي سنة ونصف .

هكذا سقطت بيد ملوك الاسبان ومن ساعدهم من الصليبيين عددمن قواعد الاندلس في هذه المدة التي عاصرت نهاية الدولة الموحدية ، الاان المسلمين في الاندلس استطاعوا الحفاظ على بعض المناطق في جنوبي البلاد ، حيث قامت مملكة غرناطة ، وبالامكان تسميتها الاندلس الصغرى ، بعد انهيار الاندلس الكبرى .

عصر مملكة غرناطة (الاندلس الصغرى)

(٦٣٥-٨٩٧هـ /١٢٣٨- ١٤٩٢م)

استمرت الدولة الموحدية في المغرب تواجه القوة الناهضة حتى عام (٦٦٨هـ/١٢٦١م) حيث ورثتها دولة بني مرين . اما في الاندلس فقد ضعفت القوات الموحدية امام هجمات الممالك الاسبانية ، وسقطت اهم حواضر الاندلس بيد الاسبان ، اذا راى اهل الاندلس انه لابد لهم من القيام بعمل دفاعي يحفظ لهم مابقي من بلدهم ، ولهذا ظهرت زعامات محلية اندلسية منها زعامة ابي عبدالله محمدبن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر والملقب بالشيخ والغالب بالله فقامت مملكة غرناطة ، التي عمرت مايزيد على قرنين ونصف ، وتوالى على حكمها خلال ذلك مايربو على عشرين حاكماً (سلطاناً) ، وقد تمتع كثير من هؤلاء السلاطين بصفات جيدة وقدرات ممتازة .

مؤسس هذه المملكة محمد بن الاحمر (٦٣٥-٦٧١هـ/١٢٣٨-١٢٧٢م) وقد بينا ظروف قيام مملكته فيما سبق . ومملكة غرناطة تشمل ثلاث ولايات كبيرة : ولاية غرناطة في الوسط ،ولاية المرية في الشرق ، وولاية مالقة في الجنوب . وهذه المنطقة هي التي استطاع بنو الاحمر الاحتفاظ بها مايقارب قرنين ونصفاً من الزمان . وكان لهذا لهذا الصمود اسباب على الرغم من تحالف الممالك الاسبانية وتعاهدها على اسقاط مملكة غرناطة ، وفي طليعة هذه الاسباب :

١- بعد مملكة غرناطة عن متناول ايدي الممالك الاسبانية ، فهي محصورة في الزاوية الجنوبية لشبه جزيرة الاندلس ، كما ان موقعها هذا سهل عليها الاتصال بعدوة المغرب ، طالبة العون منهم كلما اشتد عليها الضغط الاسباني ، وكانت الدولة المرينية اكبر عون لهذه المملكة الاندلسية .

٢- دربت مملكة غرناطة سكانها على حمل السلاح والتهيؤ باستمرار لملاقاة العدو ، كما اضيفت الى هذه القوة قوة الوافدين الى مملكة غرناطة ، وهم المسلمون الفارون امام هجمات الممالك الاسبانية ، فيعد سقوط الحواضر الاندلسية ، بيد الاسبان لجأ الكثير من مقاتلة هذه المدن الى مملكة واعتبروها ملاذاً لهم امام هذه المخاطر فأضافوا قوتهم الى قوة سكان المملكة المحاربين .

٣- لاينكر دور عامل الجهاد في سبيل الله الذي التزم به سكان هذه المملكة ، في صمود هذه المملكة لفترة طويلة امام هجمات الاسبان ، فعامل الجهاد هو الذي فتح الاندلس من قبل ، وهو دوماً يحميها من الخطر الاسباني الزاحف .

كان محمد بن يوسف بن الاحمر مؤسس مملكة غرناطة يحاول تجنب التصادم مع الممالك الاسبانية وتمادى احياناً الى درجة مهينة . وفي عام (٦٦٠هـ /١٢٦١م) قامت مملكة قشتالة بمهاجمة مملكة غرناطة ، الاان قوات بني الاحمر بمساعدة المجاهدين في المغرب ردت كيد المعتدي ، فأثار هذا الامر حفيظة مملكة قشتالة الفونسو العاشر الذي ضاعف الهجوم فسيطر على عدة حصون فاستغاث بنو الاحمر باهل المغرب وتونس ، فوصلت بعض الامدادات الى طريف .

ونظراً لتعاون الفونسو العاشر ملك قشتالة مع خايمس الاول ملك اراغون واللذين سيطرا على مدينة مرسية وحاصرا غرناطة بعد ذلك اولاً ونظراً للخلافات الاسرية في عائلة بني الاحمر

ثانياً،عقد ملك غرناطة الصلح مع الفونسو العاشر عام (٦٦٠هـ /١٢٧٦م) ، وتنازل عن مدينة شريش وعدد من الحصون . قبل وفاة ابن الاحمر عام (٦٧١هـ /١٢٧٢م) كرر الفونسو العاشر هجومه على حصون مملكة غرناطة فطلب ابن الاحمر العون من السلطان المريني يعقوب بن عبدالحق الملقب بالمنصور ، لكن النجدة لم تصل الا بعد وفاة ابن الاحمر ، فوصلت ايام محمد الثاني الملقب بالفقيه عام (٦٧١هـ -٧١٠هـ) .

ارسل السلطان المريني الجيوش التي عبرت الى جزيرة طريف ، ثم لحق بها السلطان فنظم امورها واعدها لملاقاة القشتاليين ، فكانت معركة استجه في عام (٦٧٣هـ /١١٧٥م) بين الجيوش الاندلسية والمرينية التي يقودها الساطان المريني ، وجيوش قشتالة بقيادة الامير نونيودي لار صهر ملك قشتالة الفونسو العاشر فحازت جيوش المسلمين النصر وتشتت الجيش القشتالي وقتل قائده . ثم ان السلطان المريني المنصور ذهب الى الجزيرة ، للاستراحة ليعود بعدها الى اراضي قشتالة . كما حاصر مدينة اشبيلية التي طلبت الامان والصلح فاجابهم الى ذلك وعاد الى الجزيرة الخضراء ، ومنها عبر الى المغرب في اواخر رجب عام (٦٧٤هـ) وبعد ان ترك في الجزيرة الخضراء ، ثلاثة الاف فارس لمعاونة مملكة غرناطة في رد هجمات مملكة قشتالة .

عاد سلطان المرينيين فعبر الاندلس عام (٦٧٧هـ/١٢٧٨م) وتوغل في اراضي مملكة قشتالة ، ثم عاد الى عدوة المغرب . وبعدها بدأ ملك غرناطة يتوجس من السلطان المريني ، فتحالف محمدالثاني الفقيه مع ملك قشتالة الفونسو العاشر الذي انزل قواته في الجزيرة الخضراء .

ارسل السلطان المنصور ابنه الامير ابا يعقوب في اسطول كبير في اوائل عام (٦٧٨هـ/١٢٧٩م) فاصطدم فاصطدم مع القشتالي الذي انهزم واضطرت قواته الى ترك الى ترك الجزيرة الخضراء ثم بعث السلطان المريني الى ابن الاحمر يطلب منه التفاهم والتعاون لصد الاخطار الاسبانية . فعقد التحالف الذي بموجبه اصبحت مدينة مالقة لبني مرين لتكون قاعدة للقوات المرينية التي تعبر الى الاندلس .